

روايات مصرجة اللحن

أسطورة

59

رونيل السوداء

ما وراء الطبيعة

و. محمد خير التوفيق

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

## مقدمة

هذا أنا مرة أخرى ..

لا بد أن البعض رحب بى بحرارة ، ولا بد أن الكثيرين  
ركلوا الجدار أو الأرض فى غيظ ، وهتفوا : هو ذا ذلك  
العجوز النصاب من جديد ! ألم يميت بعد ؟!

حسن .. لا بد لى من أن أعترف أن عشرة أعوام كاملة  
مع العجوز ( رفعت إسماعيل ) لهى أكثر من اللازم .. هذا  
بالطبع ما لم تكن عقاباً جديراً بالأساطير الإغريقية ..

قليلون منكم لاحظ بالفعل أن عشرة أعوام كاملة قد  
مرت ، وأنا لا أكف عن الثرثرة ، منذ يناير 1993 حتى  
يناير 2003 وكنت أنوى الاحتفال بذلك فى الكتيب رقم 58 ، ثم  
قررت أن تهنته النفس أسلوب غير محبب .. مادام أحد لم  
يلحظ فلاداعى للتبويه بذلك ..

والمشكلة أنكم لا تلقون العجوز ( رفعت إسماعيل )  
إلا والأمطار تنهمر أوقيط الصيف يحرقكم .. هذا لا يبدو طقساً  
محبباً للقراءة ، لكنه - إلى حد ما - يناسب قصص الرعب ..

أين كنا إذن ؟



كنت راغياً اليوم فى حكاية قصتى مع ( البيروسات )  
أومع ( ليليث ) أو... لكنى أراكم مصرين على أن أستكمل  
قصة المقبرة .. وإنها لعادة غريبة .. لسبب ما تصرون على  
أن من بدأ قصة لابد أن ينهيها ..

فى الكتيب السابق فضلت أن أبدأ بـ ( أرض العظايا )  
لأسباب لا تخفى على أحد ، لكن اليوم لم يعد ثمة مبرر  
للتأجيل أكثر .. حسن .. سأحكى لكم الجزء الثانى من  
القصة وقد اخترت له اسم ( رونيل السوداء ) ..

أنتم تعرفون أن الطفلة ( إلياتور ) لم تكن طفلة ..  
وتعرفون أن الساحرة ( لورين ) لم تكن ساحرة .. وتعرفون  
أن العبقريّة ( ماجى ) لم تكن عبقريّة .. وتعرفون أن  
الأحمق ( رفعت ) لم يكن أحمق ..

هذا جميل ..

يمكننا البدء إذن ما دمتم تذكرون كل شيء !

\*\*\*

## 1- المشكلة تنتظر ..

« نظرت لى فى غباء فأخرجت قلماً من جيبى وخططت  
على الجدار : »

« Eleanor .. Ronaele » -

وقلت فى تودة :

- « لو قرأت ( إلياتور ) بالمقلوب لصارت ( رونيل ) ..  
كأنك تضعين الحروف أمام مرآة .. بالمناسبة الساحرة  
اسمها الأصلي ( هيلين ) .. و ( إلياتور ) تنويع على اسم  
( هيلين ) .. وجدت هذا فى قاموس ( وبستر ) الذى أحمله  
دائماً .. »

هبت واقفة وصاحت :

- « أكرر .. ما الذى تعنيه ؟ »

- « أعنى أن مارليناه أمس لم يكن طقوس تضحية بالطفلة ..  
بل كتبت طقوس تنصيب !! إن ( رونيل السوداء ) قد استحوذت  
على الطفلة وسوف تبدأ دورة حياة جديدة معها !! »

- « أنت مجنون !! »



- « وما الدافع الذي جعلك تأتين هنا بالذات مع الطفلة في هذا الوقت بالذات ؟ يسهل أن نتصور أن من سرق الصور هي الطفلة ذاتها وهي من رماها من النافذة .. كانت قد بدأت تتحول لكن التحول لم يكن تاماً .. كان لابد من تنفيذ الانتقام أولاً بعدها يتم الحفل الصاخب .. »

- « نحن قاطعنا هذا الحفل في ذروته .. »

- « بل متاخراً جداً .. »

كان هذا الصوت من وراء كتف (ماجى) فأجفلنا ونظرنا للوراء ..

كان صوت أنثى في منتصف العمر ، لكننا وجدنا أمامنا (إليانور) ذاتها حافية القدمين في قميص نومها .. وعلى وجهها ضحكة لن تصدقها ما لم ترها ..

كانت تقف على الباب ترمقنا بمزيج من حقد وتلذذ وسخرية وكراهية .. وقالت :

- « تاخرتما كثيراً جداً .. لقد صادت (رونيل السوداء) .. وهذه

المرّة لن يمسيها سوء لأن هذا العصر لا يعترف بحرق الساحرات ! »

صحت وأنا أرتجف هلعاً :

- « نحن نعرف كل شيء .. »

- « لكنكما لن تستطيعا المساس بي .. يومها ماذا تقولان للشرطة ؟ كانت ساحرة ؟ »

ثم انفجرت في ضحكة مستهترة قبيحة ماجنة كريهة وخرجت من الغرفة ..

وسقطت (ماجى) على الأرض باكياً .. أعترف أن أعصابى لم تسمح لى إلا بالاستناد إلى الفراش .. وهتفت (ماجى) وهي تتشج :

- « لن أتركها .. إنها قريبتى .. سأخذها معى إلى (إنفرنسشاير) وسأفعل المستحيل كي تشفى .. »

- « تأخذين معك من تعيش داخلها ساحرة شريرة ؟ »

- « لا أتوقع منى أن أربطها إلى عمود وأحرقها .. إنها حالة نفسية لا أكثر .. ربما فصام من فرط ما عانت .. »

قلت لها :

- « أنا كذلك أعتقد أن شفائها ممكن .. إنها ممسوسة أو مجنونة .. لأن الساحرة لم تعد للحياة ولم تغادر قبرها .. ربما أمكن أن نجد حلاً .. »

ولبثنا ساعات على الأرض نرتجف .. ونفكر فى المستقبل الغامض ..



قال ( سمير ) وهو يلتصق بى أكثر ، محاولاً أن يخفى رأسه الصغير فى خصرى :

- « أنا خائف يا أبى .. »

فى الحقيقة ونظراً إلى الجو العام المقلق من حولى ، لا أجد أنه يبالغ فى هذا الذى يشعر به .. لكن واجبنا نحن الكبار أن نتظاهر بالصلابة والتماسك ، حتى لو كانت أعصابنا قد بلغت آخر مدى لها قبل أن تنقطع ..

داعبت شعره الأسود الناعم الذى ورثه عن أمه وليس عنى لحسن الحظ ، وهمست فى أذنه :

- « سينتهى كل شيء .. هل تتصور أننا سنصير جثتين متعفنتين تنتثر أحشاؤهما خارجاً ؟ »

قال بصدق :

- « طبعاً .. »

- « إذن أنت مخطئ .. هذا مشهد أبشع من أن تتصوره .. وبالتالي هو لن يحدث لنا .. »

هذه قاعدة ( يحدث للآخرين فقط ) .. لقد حان الوقت كى يتعلمها .. فهى تثبت دوماً براعتها فى بعث الطمأنينة فى

النفوس ، كما أنها - حين يتضح خطؤها - تجعل تصديق ما يحدث عسيراً .. لهذا يبدأ الخط الدفاعى الثانى ( هذا لا يحدث لى فعلاً ) .. بعد هذا يأتى الخط الدفاعى الثالث : الصدمة العصبية والنشاط الزائد للعصب الحائر Vagus من ثم تفقد الوعي .. تفقده لفترة مريحة يمكن أن يحدث فيها أى شيء لك .. هناك خطوط دفاعية أخرى مثل مادة ( الإندورفين Endorphin ) التى يفرزها مخ الفأر وهو بين أبواب القط .. وهى نوع من المورفين الداخلى الذى يلفى إحساسه بالألم .. هذه هى الحكمة الإلهية العليا : كل ألم يلقى معه برحمته ..

واحتضنت ( سمير ) أكثر ..

هذه هى مزية أن تكون متفرداً بلا أسرة .. أنت وحدك تتحمل ما يحدث لك وتنتهى الأمر .. أما مع وجود ابنى فى هذه القصة فالموضوع أقسى بمراحل ..

فكرت فى هذه الأشياء بينما الدخان يتصاعد من الكهف ..

لقد جاءت اللحظة .. لم يكن كل ما توقعناه كذباً ..

ترى أين زوجتى الحبيبة وسط هذا كله ؟



أعود بذاكرتى إلى بداية القصة ..

كما تعرفون كان لا بد لى أن أعود إلى مصر .. كان لدى  
طن من الأعمال الطبية والأسرية ، ولم يكن من المنتظر أن  
أبقى إلى الأبد فى ( ليفورد - دونيجال ) ، حتى تقرر الأنسة  
الصغيرة أن تعلن عن حقيقتها ..

كنت أعرف أنها قميئة بأن تحيل حياة ( ماجى ) إلى  
جحيم .. هاته الفتيات الصغيرات الممسوسات يجدن هذه  
الأشياء ، وقد عرضها الكاتب الأمريكى اللبائى ( بيتر بلاتى  
Blatty ) بالتفصيل المعمل فى قصة ( طارد الأرواح الشريرة  
Exorcist ) حيث استدارة الرأس ١٨٠ درجة إلى الوراء ،  
وفراغ خليط أخضر من الفم على سجادة الصالون أمور  
عادية جداً .. لم يعد هناك جديد فى هذا الصدد .. دعك  
بالطبع من الكلام باللاتينية لأن هذه كما يبدو من سمات  
هذه الشياطين المثقفة .. لهذا يقولون : اقتل أى شخص  
يتكلم اللاتينية بطلاقة ، ما لم يكن هو القس الكاثولىكى ..

لكننى - وأنت تقدر موقفى - أجد من العسير على أن  
ألقى حياة لى فى مصر من أجل خاطر قد يكون وقد  
لا يكون ..

هكذا عدت لحياتى فى مصر .. الكلية .. المستشفى ..  
( كفر بدر ) .. السهرات الكنيية لدى ( عزت ) .. لقاءات مع  
( كاميليا ) .. بعض عيادات الأصدقاء حيث أكتشف المزيد  
من الأسباب التى ستكتب فى شهادة وفاتى ..

كانت لى قصة قصيرة سخيصة مع الدودة التى تكبر يوماً  
بعد يوم ، والتى توشك على أن تحتل عالمى كله .. لا أعرف إن  
كنت سأحكيها يوماً ما .. ربما أقفل لو اتسع الوقت ..

ثم إننى تلقيت خطاباً من ( ماجى ) .. هكذا أجلت كل  
شئ وكل تفاصيل حياتى إلى أن أقرأه ، وكان يستحق  
الاهتمام حقاً :

« إنقرنشاير فى .....

« الأعرز ( رافعت ) :

« الحقيقة أننى أفتقدك بشدة فى هذه الأيام ، وأعرف أنك  
تشعر بالشئ ذقه ، وهذا ما يجعل علاقتنا فريدة .. لنا أعرف أنك  
تشعر بما أشعر به بلا مجاملة ولا مداينة ولا افتعال ..

( ... جزء محذوف من خطابها لأن من حقى أن أحتفظ بشئ  
سراً .. لست معروفاً فى واجهة محل لو كنت تفهم ما أعنيه ... )



أحياناً أستعيد شريط كل ما واجهناه فى (دونيجال) ،  
وتلك الأيام الغريبة ، فأشعر أن هذا كله كابوس ثقيل ، وأنه  
لم يحدث شيء مما حسينا أنه حدث ..

« أستعمل أدوية الاكتئاب بكثرة هذه الأيام ، وقد برهنت  
على أنها لا تجدى مع الذكريات أبداً .. أتمنى لو أمد سكيناً  
إلى مخى وأنتزع كل ما يمت بصلة لتلك الرحلة الغريبة إلى  
أيرلندا ..

« لكن حتى لو وجدت هذه السكين السحرية ، فلا أعتقد  
أننى سأستطيع نسيان (إليانور) الصغيرة ، وما مرت به ..

« هى معى فى كل لحظة من اليوم .. نحن لانفترق  
الآن .. وقد رتبت كل شيء مع أهلها بحيث تمضى عاماً  
معى هنا فى (إنفرنسشاير) .. هم يعرفون بعض الحقيقة  
لا الحقيقة كلها .. يعرفون أنه كانت هناك متاعب مع بعض  
الشيطانيين ، لكنهم لا يعرفون الجدل الدائر حول ابنهم وهل  
هى جزء من هؤلاء الشيطانيين أم لا .. تعرف طبعاً أن هذه  
من الأشياء التى لا تقال ، ولو قيلت فكيف تقال ؟

« ما إن عدت إلى قصر أبى ، حتى رتبت لها إقامة  
مريحة واعتيت بكل التفاصيل بما فيها اللهو والدراسة ..

لا أنكر هنا أننى كنت أشعر بمعادة لا بأس بها .. الشعور  
بأنها صارت ملكى .. هذا الشعور الذى لن تفهمه أنت  
يا (رفعت) والذى تشعر به طفلة تعود إلى دارها حاملة  
الدمية التى اشتريتها .. ينتظرها مستقبل حافل من تمشيط  
الشعر وانتقاء الثياب المناسبة لهذه الدمية ..

« ومرت الأيام بشكل طبيعى باسم .. لا مشاكل ..  
لا خدوش على جانب الفراش بالأظفار ليلاً .. لاقىء على  
سجادة الصالون - وأنا أعرف أن هذا فى ذهنك - وقد بدأت  
أعتقد أن ما حدث كان وهماً ..

« لقد مرت الفتاة بضغط نفسى هائل ، لو مر به أى عقل  
مهما بلغ ما بلغ من ثبات وقوة ، فلسوف ينهار .. لفترة  
مؤقتة أو هذا ما أرجوه ..

« الآن أنت متحفظ للأسوأ تتساءل : متى بدأ الجزء القذر  
من القصة ؟ متى ظهر الجانب المظلم من القمر ؟

« لا تقلق يا (رفعت) .. لقد بدأ كل شيء من  
أسبوع ... »



« لا يا (جراهام) يمكنك أن تنام الآن .. »

« هكذا يغادر المكان وأعرف أنني وحيدة تمامًا في هذا القطاع من القصر .. دعك من أصوات الأشباح العاشية في الردهة وقطعة الدروع الواقعة في الخارج .. هذه أشياء محتمة في أي قصر أسكتلندي على ما يبدو ، ولم تعد تؤثر في لحظة .. بل إن الليلة التي لا أسمع فيها خطوات السير (أرشيبالد ماكيلوب) خارج المكتبة هي ليلة سوداء تفعمها الوحدة .. أفقد حتى وحش (لوخ نس) الساحر .. »

« أحاول أن أركز .. أن أستجمع أفكاري .. لكن لا .. تلك الذكرى الأليمة لا تترك لي مجالاً للتنفس .. »

« وهكذا أعد لنفسى المزيد من عصارة الأفكار التي يطلقون عليها (كابوتشينو) ، وأشعر بالمشروب الشرى يتخلل خلاياي ليعيدها إلى الحياة .. »

« مشيت بالقدرح الساخن في يدي ، وأنا أفكر .. »

« كنت الآن أقف أمام غرفة (إليانور) بالضبط .. تلك الغرفة التي أحلتها قطعة من (ديزنى لاند) بالسنانير الجميلة ، وورق الحائط المزركش بالأزهار ، وكل الدمى التي نثرتها فيها .. إن الشيطان الذى يتسلل إلى هذه الحجرة لهو شيطان طفل بالتأكيد .. »

## 2 - مشاكل تربوية ..

باقى خطاب (ماجى) ...

« كنا في تلك الأيام نخلد إلى النوم في العاشرة مساء .. »

« فى الحقيقة كنت أقتعها بأننى فعلت ذلك ، ثم أتسلل إلى مكتبى لأعود إلى بعض الأبحاث الفيزيائية الخاصة بى .. إن هذه الأمور تحتاج إلى تركيز ، ومن المستحيل أن تقوم بها نهاراً .. هناك فى مكتبى تجد جهاز الكمبيوتر مفتوحاً وقد انتشرت عليه الجداول ، والآلة الحاسبة مفتوحة مع مجموعة من صور أشعة إكس للبلورات .. والحقيقة إننى أحب هذا المنظر لكنى غير متحمسة لمحتواه .. إن ساحة المعركة مغرية وتوحى بالإنهماك والعلم ، لكنها لم تعد تسفر عن مواقع مهمة .. »

يدق رئيس الخدم الباب .. أنت تذكره .. إنه آخر بقايا الإمبراطورية ومرآه يعيد لى ذكريات عجيبة بعض الشيء عن الحملة على الهند ، والأدميرال (نلسون) وسياسة المستعمرات .. إلخ ..

« هل تطلب الآنسة شيئاً ؟ »



« كنت الآن أقف أمام غرفة ( إلياتور ) بالضبط .. حين سمعت المحادثة القادمة من الداخل .. لم أميز ما يقال ولكنى أؤكد لك أنهم كانوا خمسة .. على الأقل .. »

« كنت الآن أقف أمام غرفة ( إلياتور ) بالضبط .. وأذنى ملتصقة بالباب .. أحاول أن ألتقط حرفاً من تلك المحادثة .. لآلم تكن باللاتينية ، أنا أعرف أن هذا السؤال دار بذهنك .. »  
« كنت الآن أقف أمام غرفة ( إلياتور ) بالضبط .. وأمد يدي إلى المقبض .. وأديره .. »

« فى اللحظة الثانية فتحت الباب بحركة درامية .. ونظرت إلى الفراش فى الضوء الخافت القادم من الردهة .. »  
« كانت الفتاة جالسة على الفراش فى وضع القرفصاء ، ولم يكن حولها أحد .. لكنى رأيت ثلاثة فئران تركض فارة فى عدة اتجاهات .. بررررر ! أنا أمقت الفئران كآية أنتى أخرى .. لكنى أمقت الفئران التى تحيط بطفلة أكثر ، والمقت يبدأ كدرجات السلم الموسيقى نوعاً من الاشمنزلز والنفور ثم يتصاعد ليتحول إلى غضب مجنون .. هذه هى اللحظة التى يتم القتل فيها .. »

وهكذا أضلت للنور ورحلت أفش كالمخبولة عن تلك الثدييات المريعة .. من المستحيل أن تجد فلراً حين تبحث عن واحد ..

قلت وأنا أغلى من الغيظ :

- « صبراً .. فنران فى بيتى للتنظيف !! سأخبر ( جيمس ) غداً ، وسوف يطلب خبر التطهير .. إن هذه من الأيام القليلة التى أغبط فيها نفسى على أننى لست فأراً .. »

ثم وضعت يدي على كتفها فى رفق :

- « هل أنت بخير يا حبيبتى ؟ »

لم ترد .. فقط زامت فى سكون ..

نظرت لها بدقة أكثر ففهمت لماذا تزوم ..

من الصعب أن تتكلم بحريتك بينما هناك ذيل فأر يتدلى من فمك !

\*\*\*

لا أعتقد أن الأمر يحتاج إلى خيال كبير يا ( رفعت ) كى تخمن ما دار فى ذهنى .. كل ما قلت وكل ما فعلت ..

لم يكن ما حدث لنا مجرد خيال .. إن الفتاة مريضة ومريضة جداً لو أردنا الدقة ..

رباه ! ولنا التى اعتقلت أن الكابوس قتهى ، وأننى رأيت



أسوأ ما فيه .. أتذكر هنا ما قلته لى من أن ما لم نعتده يثير رعبنا أكثر من أى مسخ فى الأرض .. من المعتاد - بل المحبب والمريح - أن ترى الدم ينزف من إصبعك حين يجرح .. أما إذا لم يحدث هذا فهو ليس خبراً بهيجاً على الإطلاق ...

دعك من هذه التفاصيل ..

« فى هذه اللحظة بالذات عرفت أننى بحاجة إلى طبيب نفسى أو خبير فى الماورائيات (ميتافيزيكس Metaphysics) أو كليهما ..

« الواقع إننى إنسانة محظوظة لأن لى أصدقاء غير عاديين .. كلا .. لا أعتبرك منهم فأتت فى قائمة مختلفة بعض الأشياء .. هناك (ويليام ماكلارين) وهو صديق طبيب نفسى ، لكنه كذلك - ربما مثلك - مهتم بما لا يرى ولا يسمع ولا يشم .. وهو أقرب إلى الفيلسوف منه إلى أى شىء آخر ..

« هكذا دعوته لتناول الشاي ومقابلة الطفلة الجميلة (إليانور) التى التهمت فلراً أمس ..

« كان رأيه أن هذا نوع من الـ Pica وهو الميل المرضى لما ليس طعاماً ، وهو يظهر لدى الحوامل وفى الاضطرابات

النفسية .. فصارحته أننى رأيت حوامل كثيرات لا يأكلن الفئران ولا يتحشثن معها قبل الأكل ..

« قال لى إن هناك زاوية سلبية وزاوية موجبة .. الزاوية السلبية هى تبرهن على أن الطفلة لا تشكو من مرض نفسى ما .. والزاوية الموجبة هى أن تبرهن على أن لدى الطفلة قوة نفسية معينة ..

« هكذا أجرى عليها حشداً من التجارب النفسية وقياسات الذكاء ، وكانت النتيجة رائعة .. ذكاء الفتاة طبيعى ونفسيته مستقرة كقدم الخرتيت .. إن الزاوية السلبية قائمة .. لكن هناك عدداً من علامات الاستفهام هنا ..

« الساحرة لم تعد للحياة .. فهل عادت روحها لتتقمص الطفلة وتولد من جديد عبرها ؟ أعتقد أن هذا غير مقبول لك لأنك لا تؤمن بنظرية التناسخ .. على كل حال أنا لا أعرف ما تعرفه ولا ما يعرفه (ويليام) .. بقواقع لا أعرف ما يعرفه أى واحد فى هذه القصة ..

« كان القرار الذى استقر عليه هو ... هو .. نعم بالفعل .. جلسة استحضار أرواح .. سيحاول الاتصال بتلك المرأة (روتيل) السوداء ، وسوف يفهم منها القصة الكاملة لتلك



اللعنة .. سيعرف لماذا تضطهد الطفلة .. باختصار سيحاول مفاوضتها بعد أن يعرف ما نعرفه .. سيحاول عقد اتفاقية عدم اعتداء ..

« مارأيك في هذا الجنون ؟ أعتقد أن الأمر يروقك .. لم يبق إلا موسيقا تصويرية لـ ( برنشتاين Bernstein ) مع بعض المونتاج البارع ، ليصير لدينا فيلم رعب ممتاز . المنافس الجديد لطارد الأرواح الشريرة أو ( داميان ) .. باختصار كل أفلام الأطفال الأشرار الذين تحوى عيونهم البراءة والرقعة ، لكنهم أفاع يجب تدميرها ..

« موعد الجلسة الليلة ..

« سوف أكتب لك بالتفصيل .. الحقيقة أننا نفتقدك هنا . وأمل أن تلحق بهى فى أقرب فرصة ..

( ماجى )

\*\*\*

طبعا - كما ترى أنت - كان الخطاب سيئا .. وكان يحمل أخبارا نصلها مزعج ونصلها مخيف ..

أنا لا أحب الأطفال بطبعي .. أحبهم حين يكونون عاجزين

محتجين إلى الكبار .. باختصار وهم فى المهد وقد تلوثت شفاههم باللبن ، لكنى لا أطيقهم لحظة بمجرد أن يدخلوا حقة الركبة الملوثة بالميكروكروم .. حقة تعذيب القسط وتمزيق أوراقك الهامة وإتلاف التلفزيون .. أنا لا أحب الأطفال الطبيعيين فكيف بالأطفال الذين يحوم حولهم شك ما ؟

لقد كلمتنا الطفلة بصوت خشن لا شك فيه .. لم تكن هذه هوسه سمعية .. أنا أعرف جيدا أن شيئا كريها حل بها .. وأعرف أن لعنة ( رونيل ) السوداء عادت بعد كل هذه الأعوام لتنتقم ممن كانوا السبب فى حرقها ، وتعد البلدة لـ ( رونيل ) جديدة .. فهل تبدأ ( رونيل ) تلك الطفولة ؟ إذن ( ماجى ) ستكون معلمتها ..

المشكلة هنا أنك تستطيع الخلاص من كل كلب يسيل لعابه أكثر من اللارم - خشية أن يكون مصابا بالسعار - أو قط أجرب . لكن من الصير أن تبرر الخلاص من طفلة برينة المظهر خاصة لو كانت قريبتك ..

على كل حال قلبى يحدثنى بأن جلسة التحضير هذه ستكون مهمة .. أنا لا أؤمن بتحضير الأرواح ، وأشك فى قدرة بشر على استدعاء الروح .. لكنى أؤمن أن هذه



الجلسات تحدث ثغرة في جدار الوعي تؤمن اتصالاً معيناً مع عالم ما وراء الطبيعة .. ربما لأن الشياطين تتصل بمن يجرب ..

يقول عالم النفس الكبير ( يانج Jung ) تلميذ ( فرويد ) المشاغب : إن المجموعة الجالسة في جلسة تحضير أرواح تمثل ثقافة فرعية أو ثقافة مضادة ، تصر على أو تؤيد حقيقة أحداث معينة تنفيها الثقافة السائدة .. أي أن ( اللاوعي الجمعي ) للجالسين ينفصل عن ( اللاوعي الجمعي ) للمجتمع الخارجي .. وحين تتجح هذه المجموعة في عزل نفسها عن العالم الخارجي بمعتقداته المعادية ، فإن حقيقة معينة تولد ..(\*)

الخلاصة أن هذه الجلسات تقود إلى معلومات .. بعضها زائف وبعضها مصيب .. لكني لا أزعم لحظة أن هذا ناجم عن الاتصال بالروح ..

والآن ماذا أفعل ؟

( \* ) لـ ( فرويد ) تلميذان عظيمان اختلفا معه كثيراً ، هما ( يانج ) و ( ايلز ) .. الأول أعلى من شأن الوجدان الجمعي وحقيقة أنها حمل تراث أجدادنا في لغاتنا ، والثاني أعلى من شأن مركب النفس ، ونس كل هبتنا محاولة للاتصال على مركبت نفس تظهر أنها فرنا ..

طبعاً لا شيء أعمله إلى أن يأتي خطابها الثاني ، وهو لن يتأخر طبعاً لأنها مستكتبه بعد الجلسة .. أي سترسله بعد يوم أو أقل من إرسال خطابها السابق الذي وصلني فعلاً ..

لكن مصلحة البريد لا تعترف بحساباتي على كل حال ..

لقد وصل الخطاب بعد أسبوع كامل .. وقد لاحظت من البداية أن خط ( ماجي ) الأنيق النضيد قد بدا بالغ الارتباك على المظروف .. إنها في حال سيئة ...

كنت في مكتبي بالكلية ، لذا نهضت وأغلقت الباب بالمفتاح .. في الغالب سيفترض القادمون أنني أمر بنوبة قلبية كالعادة ، فهذا من روتين حياتي هنا .. وقد تعلموا ألا يزعجونني كي أستمع بالنوبة القلبية وحدي في سلام ..

الآن أفتح الخطاب وأدعو الله ألا يكون محتواه مصيبة ..

« إنفرنشاير في ... »

« الأعز ( رقت ) : »

« كما قلت لك في الخطاب السابق ، أعددت كل شيء

للك الجلسة التي رتبها د. ( ويليام مكلارين ) في بيتي .. وكنا قد اتفقتا على أن تبدأ الجلسة بعد العاشرة حين تخلد



(إلياتور) للتوم ، وبالطبع كلفت مسز (أوركهارت) مدبرة المنزل بأن تعنى بالفقاة وترافقها .. لا أحد يرغب فى مفاجآت غير سارة فى أثناء اتهاكنا فى تلك الطقوس .. كنا بحاجة لطرف ثالث لذا استعنا بصديقة هى عارضة الأزياء الحسناء (الستري) .. وهى فتاة من الطراز الذى تلتوى له أعناق الرجال فيذهبون لأطباء العظام .. لا أرى فيها سحراً خاصاً .. فهى جميلة جداً مسطحة (ماسخاً) جذيراً بعارضات الأزياء فعلاً ، حيث لا يجب أن يطفى جمالها على الثوب الذى تعرضه .. على كل حال لن أفهم هذه الأمور حتى أصاب بأول ورم يفرز هرمونات الذكورة فتتمولحيى وأتحول إلى رجل ...

« طبعاً بصفتى فيزيائية لم أفوت الفرصة ، وحرصت على تسجيل الواقعة صوتاً وصورة مع وضع بعض أجهزة القياس .. إن الفيزيائى الذى لا يقيس الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية وترددات الصوت فى جلسة تحضير أرواح لهو فيزيائى فاشل .. استعملت فيلماً حساساً من طراز ١٦ ملم كى لا يفوتنى شىء(\*) ..

« فى العاشرة والنصف أدار (ويليام) جهاز تسجيل يذيع

(\*) فى هذا الوقت طبع لم تكن هناك كاميرات فيديو متاحة للجمهور .

موسيقا هادئة لـ (موزارت) سعياً للحصول على ما يطلق عليه الروحانيون اسم (تأثير موتسارت أو Mozart Effect) .. يقولون إن موسيقا (موتسارت) بالذات تنشط الظواهر الفارقة للطبيعة ولا يوجد تفسير واضح لهذا ..

« قمنا بتخفيض الإضاءة والتفطنا حول منضدة دائرية صغيرة ، وبالطبع كنا نستعمل أسلوب الكوب ولوحة الحروف ، لأنه لم يكن بيننا وسيط موثوق به ..

« طلب (ويليام) استدعاء روح (رونيل السوداء) أو (هيلين) من (تيركونل) ..

« بعد صمت طال بدأنا نشعر بذلك الوجود الثقيل يجثم على أنفاسنا .. بالفعل لم نكن وحيدين ، وأدركت أن الكوب يتحرك حركة لا شك فيها .. ليست مجرد أعصاب تالفة أو خيال زائد بفعل الظلمة ..

« قالت الحروف : ماذا تريدون ؟

« بصوت مسموع قال (ويليام) الذى حضر عشرات الجلسات من قبل إنه يريد معرفة ماتريد (رونيل) أولاً ..

« الانقسام .. هذا هو ما قالت الحروف ..



« لكنك انتقمتم بالفعل في ( تيركونل ) .. لقد مات أحفاد كل من تسبب في محاكمته .. »

« وهنا حدث شيء غريب .. لم تعد ترد علينا بالحروف .. بل دوت آهة قوية ثم شعرنا أن صوتاً قوياً خشناً يأتي من مكان في الظلام .. بالأحرى يأتي من لا مكان في الظلام .. وأجفلت بينما شهقت ( إلستري ) .. إنها حسناء لكنها بلا عقل طبعاً ، وأعتقد أن واجبها نحو نفسها هو الهستيريا .. »

« لكن د. ( ويليام ) قال في الظلام بحزم :

« لا تفقدا أعصابكما .. الجلسة مستمرة ولم يتغير شيء .. »

هنا عاد الصوت يقول بإنجليزية عنيفة شكسبيرية جداً :

« أريد الانتقام من البشر جميعاً .. أريد أن أستكمل ما بدأته من ثلاثمائة عام .. »

- « والطفلة يا ( رونيل ) .. ما ذنب الطفلة ؟ »

- « ذنبها أنه لا بد لي من طفلة .. وكانت هي في المكان الخطأ في الوقت الخطأ .. »

حتى هذه اللحظة للقصة عادية يا ( رفعت ) .. هذه جلسة تحضير أرواح يسودها الود والتهذيب ، لو كان شيء كهذا ممكناً .. وكانت مؤشرات القياس الخاصة بي هادئة حتى هذه اللحظة ..

فجأة بدأ الجحيم الفعلي .. كل للمؤشرات بدأت تتراقص بجنون .. تتواثب لأعلى وأسفل .. شريط التسجيل يجري بسرعة جنونية .. الدخان الأزرق يتصاعد من الأرض كما يحدث في حفلات الروك المجنونة ..

وبدأت أعصابنا تفلت ، لكن الدكتور ( ويليام ) كرر النظر بحدة .. عيناه تلمعان ببريق مخيف في الظلام بجعلك تفضل البقاء حيث أنت ..

فجأة طار الكوب ليرتطم بالجدار ويتشقق إلى قنات .

الدخان يتزايد إلى درجة أنني بدأت أقلق مما سيحدث ..

ثمّة شيء ما خطأ .. شيء يفلت من أيدينا ..

هل هذه الأشياء التي تجري تحت قدمي هي ...

فتران ؟ بالفعل ..

عشرات منها تخرج من تحت المنضدة .. عشرات منها تركض على السقف والجدران .. من أين تأتي ؟



صرخت فى هستيريا ووثبت عن مقعدى ، وفطنت (إستري)  
شينا كهذا على نطاق أوسع ...

فلران .. فلران !

فأر ضخم نوعًا هوى من السقف فوق كتفى فصرخت ،  
وأزحته بقبضتى ..

فأر آخر هوى فوق المنضدة فأحدث ارتطامًا هائلًا ثم  
ركض مبتعدًا ..

- « لااااااااااااااااا !! »

هذه (إستري) طبعًا وليس أنا ...

صاح (ويليام) وهو يثب فوق المقعد بدوره :

- « اجهضوا التجربة ! اجهضوا التجربة !! »

يا لك من معنوه ! التجربة لم تحمل حتى تجهض .. وقد  
فشلت على كل حال من لحظة تصاعد البخار ..

- « لااااااااااااااااا !! »

قلت وأنا أركل الأرض مرارًا :

- « ألن تصرف الروح أو تصنع شينا من هذا القبيل ؟ »

- « بلى .. بلى .. اتصرفى يا (رونيل) من فضلك !! »

ثم ركض نحو الباب .. أغلقت أجهزة التسجيل الصوتى  
والمرئى ، وركضنا خلفه بينما (إستري) تحولت من  
عارضة أزياء إلى سريئة سيارة إسعاف ..

- « لااااااااااااااااا !! »

هذه (إستري) طبعًا وليس أنا ...

وفى النهاية كنا فى الخارج نلتقط أنفاسنا .. لم أر هذا  
العدد من الفلران إلا فى فيلم (نوسفيراتو Nosferatu) ..  
والسبب هو أن السفينة التى تحمل تابوت مصاص الدماء قد  
ألقت مراسيها خارج ميناء البلدة ..

مصاص دماء !

- « لااااااااااااااااا !! »

هذه (إستري) طبعًا وليس أنا ...

كان صراخها يجعل الأمر جحيماً .. لهذا نظرت نحوها  
فى حزم ، ثم هويت على خدها بأقوى ما استطعت ..

كانت تعرف أن هذه الطريقة تنجح فى السينما لذا أكملت  
دورها ، وانفجرت فى بكاء صامت وهدأت ..



قال لى د. (ويليام) فى عصبية :

- « ما الذى تحاولين عمله ؟ إن البائسة فى صدمة عصبية .. »

- « وهذا هو العلاج الناجح للصدمة العصبية .. أو على الأقل هذا ما أعرفه عن الموضوع .. »

- « معلوماتك قذافات .. »

- « وأنت لا تفعل شيئاً إلا التظاهر بالمفوض والعلم .. »

- « لا أسمع لك .. »

ورفع كفه عازماً كما يبدو على ضربى فى صف أسناتى العليا ، وتأهبت أنا كى أعض قبضته هذه .. ثم توقف وقد بدأ يفهم :

- « القصة واضحة .. إنها بثت فىنا العصبية والكراهية .. علينا أن نفهم هذا .. »

حقاً .. كنت لشعر بالدخان الأسود يحتشد فى صدرى .. وكان على وشك أن ينبعث من رأسى كما فى القصص المصورة .. هناك نوع غريب من الحقد يعمل فى نفسى .. على كل حال كنا فى أمان خارج الغرفة وإن عرفت أن القصر فى مشكلة

حقيقية .. أين ذهبت كل هذه الفئران التى ركضت خارجة من الغرفة ؟

قلت للدكتور (ويليام) وأنا أتخسس جبهتى :

- « لقد تلقينا الجواب على كل أسئلتنا .. لقد علقت الساحرة أقوى مما كانت .. وهذا الذى يحدث لا علاقة له بالهستيريا أو الهلوسة .. »

قال وهو يجفف عرقه :

- « لقد قرأت لكثير ، لكن هذا الذى يحدث يفوق قدراتى .. لقد انفجر بركان فلران فى قصرك .. »

قالت (إسترى) وهى تجفف دموعها :

- « بالمناسبة .. أين الطفلة من كل هذا ؟!!! »





« هكذا ظننت في الفراش كالديبلان حتى أشرقت الشمس .. ثم إنني استقلت سيارتي الصغيرة إلى البلدة لأحمض الفيلم الذي التقطته أمس . وطلبت إحدى شركات التطهير كي تنظف لي القصر .. »

« وعند الظهيرة جاءت سيارة التطهير المميزة التي ثبتت على ظهرها تمثالا كبيرا لقار شرس .. وقد بحث للرجل كثيرا جدا في الأقبية والحجرات والمطبخ . ثم قال لي في حلق :

« من الصعب أن أزعم أنني فتشت القصر كله يا أنسة .. لكن بوسعي أن أزعم أنه لا توجد هنا فئران .. إن لي في هذه المهنة عشرين عاما .. يمكن القول إنني أشم رائحتها وأشعر بها قبل أن أراها أو أسمعها .. لا توجد فئران في هذا القصر .. إنه نظيف كفراش الملكة .. »

كنت أتوقع شيئا كهذا وإن لم أصدقه ..

هذه فئران من الطراز الذي قلته لك .. فئران (نوسفيرا تو) التي تعلن عن وجود الشر ..

بعد الظهيرة وصلني طرد يحوى الفيلم الذي أرسلته للتحميض ، وهكذا هرعت إلى آلة العرض فقامت بتركيب الفيلم في لهفة وأسدت الستائر ، ورحلت أنتظر في لهفة حتى تزول تلك الخدوش والأرقام ..

### 3 - أن تكون هناك ..

باقى خطاب ( ماجى ) ...

« هرعنا إلى غرفة ( إلياتور ) فوجدناها نائمة كالملاكة .. شخص آخر كان نائما كالملاكة هو المسز ( أوركهارت ) ، التي كانت تجلس جوار فراشها تحتضن كتاب ( خرافات أيسوب ) وتحتضن دمية كبيرة لدب .. واضح أنها كانت تحكى حين غلبها النعاس .. وابتسمت في قرارة نفسها لأنها كانت تبدو كطفل بدين كبير أشيب الشعر وهي نائمة .. هذا جزء منها لم أراه قط تحت شخصيتها الصارمة ... »

« هكذا اطمأننا إلى أن اللعبة القديمة لم تحدث .. ننهمك نحن مع الفئران على حين ينفرد الخطر الحقيقي بالفتاة في فراشها .. » ودعت د. ( ويليام ) و ( إلستري ) على أن تتبادل أراغنا غدا .

« وكان أول ما فعلته طبعاً هو أن فتشت حجرتي بعناية ، فلم أجد ما يريب .. لو كان القصر مليئا بالفئران فهي لم تصل هنا .. وهكذا استبدلت ثيابي وحاولت أن أنام وهو نوع من التفاؤل المخجل .. كيف ينام من رأى ما رأى ؟

أخيراً أرى مشهد تحضير الأرواح .. لحسن الحظ أنه لم يتلف وكنت قد توقعت هذا .. ثمة قوة لا يمكن وصفها أو تعريفها في هذا المكان .. وهذه القوى تتلف الأفلام في كل القصص المعاكسة ..

كانت الأمور تسير على النحو الذي أعرفه .. لا يوجد جديد ...

فقط بدأ الجديد حين دوى صوت (رونيل) تتكلم ..

هنا فطنت للحقيقة .. كنا ثلاثة على المنضدة فمن أين جاء الرابع؟<sup>١١</sup>

كانت الإضاءة سينة طبعا لكنى أعدت الشريط عدة مرات وأوقفت الكادر ، وفي النهاية تبينت بوضوح أن هذا الرابع ليس سوى (إليانور) نفسها !

كانت جالسة معنا إلى المنضدة ، وكانت هي التي تتكلم وترد على الأسئلة ..

كانت معنا وإن لم نرها .. لكننا سمعنا صوتها .. كيف عرفت أنه صوتها ؟ لأنها تتحرك معه ، وتحرك يديها ورأسها بما يتفق مع سكناته ..

إنها هي ..

ثم جاء مشهد الفئران الرهيب ورأيت نفسي أركض وسط الدخان والفئران نحو الكاميرا لأغلقها ثم أفر ... وهكذا انتهى العرض الرهيب . وجلست أفكر في معنى هذا الذي رأيته ..

رباه !! تقتلني رعباً فكرة أن (إليانور) كانت معنا وترد على أسئلتنا بينما لم نرها . وبينما هي نائمة في الفراش جوار مسز (أوركهارت) ..

لم يعد ثمة شك في أن الطفلة تحت سيطرة مخيفة .. أنا بحاجة إلى من يجيد عمله .. إن (ويليام) يعرف الكثير لكنه لم يصل بعد إلى درجة طرد الأرواح الشريرة .. أعتقد أنه على الأقل يعرف من يعرف ..

والآن ما رأي بطلي الهمام في هذا كله ؟

أعتقد أن (ماجى) العجوز للمنحطة تستأهل مجاملة صغيرة منك .. بعض الجنيات تنفقها على مكالمة بدلاً من انتظار وصول الرسالة لى ، وهو ما يعنى أنني سأنتظر رأيك عشرة أعوام أخرى ..

(ماجى)<sup>١</sup>



طبعاً - كما ترى أنت - كان الخطاب سيئاً .. وكان يحصل  
أخباراً نصفها مزعج ونصفها مخيف ..

ليست ظاهرة التواجد في مكانين في الوقت ذاته  
Bilocation بالشيء الجديد على عوالم ما وراء الطبيعة ..  
إنها شائعة إلى حد بدأت أعتقد أنني الوحيد في العالم الذي  
لا يملك هذه الموهبة ..

لكن الفنران ؟ الفنران التي تأتي من لا مكان وتذهب إلى  
لا مكان ؟

والدخان ؟ لو كان ( ويليام ) مشعوذاً والمكان ليس دار  
( ماجي ) ، لقلت إن هذه كلها تمثيلية بصرية يراد بها  
الإبهام .. أما القصة كهذا و ( ماجي ) من هي في الدقة  
والموضوعية ، فلا جدال في أن هذا حدث فعلاً ..

وقررت أن الوقت قد حان للاتصال بـ ( ماجي ) .. نعم ..  
هي تستحق توضيحاً كهذه ..

ماذا أقول في الكلمة ؟ سأصحبها بالتخلص من الطفلة ..  
لا .. ليس بأن تحرقها في ساحة البلدة بل بأن تعيدها لأهلها  
مع شرح مطول عما حدث وما يمكن أن يحدث .. لسوف  
يزور أهلها خليطاً من الأطباء النفسيين والمشعوذين وطاردي  
الأرواح الشريرة ، لكن هذه ابنتهم على كل حال .

ولكن هل تتحول الطفلة فعلاً إلى ( رونيل ) ؟ هل تم  
التحول أم هو في علم الغيب ؟

لا أعرف .. لكني كذلك أؤمن أن أحداً لن يعرف ...

هكذا نزلت من داري واتجهت إلى أقرب ( سنترال )  
وظللت لرقم إياه ..

سوف تغرد البهائم بعد قليل .. أي بعد يوم كامل من  
المحاولات للخرقاء ..

لكن الاتصال تم بسرعة غير معتادة في هذا الزمن ..  
سرعان ما وجدت نفسي أمسك بالسماعة وأنتظر سماع  
الـ ( هاللو ) المحببة للنفس ، سواء من ( ماجي ) أو ممن  
سيقودني إلى ( ماجي ) ..

لكن الهاتف ظل يدق بلا استجابة من أحد .. يدق ..  
يدق .. ثم :

- « لا أحد يرد يا أستاذ .. »

قلت لنفسي إن ( جراهام ) رئيس الخدم صار غليظ  
الصوت .. بل يتكلم العربية بطلاقة ، ثم فطنت إلى أن هذا  
صوت موظف الهاتف يخبرني ألا جدوى هنالك .. هكذا  
غادرت الكابينة مبليلاً الفكر ..

لاداعى لأن أقول إننى جربت الشيء ذاته عدة مرات فى  
اليومين التاليين .

ثمة شيء خطأ هنا ..

لم أعتقد قط ألا يرد أحد .. لا بد من (ماجى) أو مديرة  
منزلها أو رئيس الخدم . ولو كان هناك خطأ ما لما طلبت  
منى الاتصال بها أو لأخبرتني بالمستجدات فى خطابها  
الأخير ..

هناك خطأ ما .. ولكن ما هو ؟

\*\*\*

لا أعرف متى اتخذت قرارى بالعودة إلى (إنفرنسشاير)  
أنا لم أفعل هذا من دهر .. لكنى اتخذته ..

كانت هناك قيمة واحدة مهمة فى حياتى كلها هر  
(ماجى) ، والمرء لا يفكر مرتين إذا هدد بفقد هذه  
القيمة .. وأنا حدثك كثيراً عنها وتعرف أن ما أحمله نحوه  
خليط من مشاعر العاشق المتيم ، والطفل نحو أمه  
والتلميذ نحو معلمته ، ووشق الأستبس نحو الأستبس  
ذاته ..

الخلاصة : لو حدث لها شيء فقد انتهيت .. لا يوجد  
مبرر للاستيقاظ من النوم صباحاً ولا رؤية شمس جديدة ..  
سأقبع فى غرفة وحدى إلى أن أموت ، أو سامشى مفتوح  
النم فى الأرقعة بأسعال بالية حاملاً عصا ربطت إليها أوراق  
شجرة ، ولنسوف يتسلى الأطفال بقذفى بالحجارة ..

هكذا يمكنكم أن تفهموا لماذا أتجه إلى المطار حاملاً  
قلقى وحقيقتى وأحلامى ..

( أن تكون هناك ) عنوان فيلم شهير لـ (بيتر سيلرز  
Peter Sellars) .. هذا العنوان يلخص الموقف .. أن أكون  
هناك . لا أعرف ما سأفعله حين أكون هناك .. ولا ماذا  
ينتظرنى .. ولا من أية نقطة أبداً .. لكنى سأكون هناك ..

وحين ارتفعت الطائرة فى السماء نظرت إلى الأرض  
المتأرجحة تحتى وشعرت ببعض الراحة ...





## 4 - فيم تفكر يا بروفسور ؟

من البداية كانت الرحلة غير موفقة ..

هذا طبعا برغم جو الربيع الذى ينعش النفس والذى أعلن سلطاته على كل شيء .. لم أحتج إلى خيال كبير كي أراه بعباءته الأنيقة التى لزدانت بالورود واليعاسيب والفراش يمشى عازفاً على ناي بين المروج .. الربيع هنا يختلف بالتأكيد عن ربيع مصر حيث الرمد الصديدي وعواصف الخمسين .. من العجيب أن أجمل فصول مصر هو الشتاء ..

ما إن نزلت من سيارة الأجرة ، ووقفت أمام الباب بحقائبي ، حتى شعرت بأن المكان لا يرحب بي كما اعتدت .. تذكرت أيام الشباب في هذا البيت الشامخ .. والأستاذ العظيم ( جيمس ماكيلوب ) الذى حلمت أن أكون مثله يوماً ما ، والذى على قدر ما أعلم هو آخر طبيب ينتمى لجيل ( ليبمان Libman ) و ( أوسلر Osler ) و ( هالستد Halsted ) .. وكل أولئك العظام الذين تراهم في بداية أى مرجع طبي كبير .. هؤلاء السادة بحق .. تصور أن ( هالستد ) الذى كان يعيش في ( نيويورك ) كان يكوى قمصاته في فرنسا ! فهو لم يكن بحاجة إلى الطب كي يكسب عيشه ، وإنما اهتم به كفن راق نبيل ..

لحم حلمت بأن أرى راسي الأصلع القبيح بين تلك الصور .. حسن .. لم يتحقق هذا ولن يتحقق ، وإن كنت أزعج أنني حصلت على مكانة بين بين .. لا هي بالرفيعة ولا هي بالوضيعة ..

وفي الوقت ذاته كان السير ( ماكيلوب ) يعنى لى أشياء أخرى .. يعنى ابنته الرقيقة الدقيقة الأنيقة ( ماجى ) التى تمشى على العشب دون أن تثنى منه عوداً واحداً ، والتى قتل الجميع إن لقصة محتومة .. هذان سيتزوجان يوماً ما .. طبعا لم يحدث هذا ومن الواضح أنه لن يحدث أبداً .. لكنى لا أعرف مخلوقين متباعدين على وجه الأرض ، يحملان لبعضهما من الحب والتقدير قدر ما نحمله لبعضنا .. وكما تقول ( ماجى ) : لعل السبب الأهم في هذا أننا متباعدان !

فتح لى الباب رئيس الخدم الراقى جداً الذى كان يثير هلعى ( جراهام ) .. والذى يتكلم الإنجليزية الأوكسفوردية بتلك الطريقة الملفتة الجديرة بالخواجة ( تشرشل ) :

- « لو سمح لى سيدى ، فإبنى سأسمح لنفسى بالقول : إن وجه سيدى يغم عن أن هواء المرتفعات الأسكتلندية يناسب صحة سيدى لو كان لى أن أقول هذا .. »

هكذا وكان بوسعه أن يقول : تبدو لى بصحة طيبة ..  
وانتهى الأمر ...

المهم أنه فتح الباب لى ، ولم يبد مسروراً كثيراً  
بقدومى .. صحيح أنني أبرقت لهم بموعد وصولى ، ولم  
أتوقع طبعاً أن تنتظرنى فرقة موسيقا القرب عند مدخل  
البلدة ، لكننى توقعت أن يكون أكثر ترحاباً ..

قلت له وأنا أدخل الرواق الكبير :

- « أين ما ... أين الأنسة ( ماكيلوب ) ؟ »

قال وهو يفتح الباب :

- « إن الأنسة ليست هنا . لقد ارتحلت إلى ( ألماتيا )  
من أسبوع يا سيدى . وحسبت أنها أبلغت بذلك .. »

هوى على هذا الخبر كأنه لسان من البرق .. السؤال هنا  
هو ...

\*\*\*

ماذا يحدث هنا ؟ فى كل لحظة أدرك أن هناك خطأ ما  
وأن الأمور لا تسير على ما يرام ..

إن نوافذ القصر كلها موصدة ، وقد أسدلت الستائر وتم

تثبيتها بشريط لاصق كى لا تفارق النوافذ أبداً .. كان النور  
هو ضيف غير مرغوب فيه هنا ..

دعك بالطبع من راحة المكان الغريبة .. عطنة قليلاً توحى  
بالقدم وليس القذارة ..

لقد شممت هذه الرائحة من قبل ، ولكن أين ؟ أين ؟

\*\*\*

- « ما الذى تفعله فى ألماتيا ؟ هى لا تعرف أحداً هناك .. »

هز رأسه بمعنى أنه لا يجد ما يقول ، لكننى فطنت إلى  
هزال منطقى .. هل أنا أعرف كل من تعرفه ( ماجى ) ؟

من حقها تماماً أن تذهب إلى ( تمبكتو ) لو أرادت فأنا  
لست وصياً عليها ، ولكن هذا الرحيل دون مبرر واضح  
يشير ريبتى .. خاصة فى الظروف التى ذكرتها ..

لا يحتاج الأمر إلى أن تكون ( شيرلوك هولمز ) كى  
تعرف أن هذا الرحيل له علاقة بقصة ( روتيل ) ..

لو كنت أتق بـ ( جراهام ) أقل لقلت إنه يكذب وإنه تخلص  
من ( ماجى ) .. لكن هذا طبعاً كلام فارغ ، لو تذكرنا أن  
الرجل هو الأخير من سلالة ظلت تعنى بهذا القصر العتيق  
عبر أجيال عدة ..



في النهاية عدت إلى وعيي ببطء ، فسألته :

- « والطفلة ؟ »

- « الآتسة الصغيرة مع الآتسة ( ماكيلوب ) في ألمانيا .. »

الآن أسقط في يدي .. ماذا بوسعى أن أفعل ؟ أين أقضى زيارتي ؟ أين ؟

\*\*\*

في دارنا بـ ( كفر بدر ) .. كانت هناك حظيرة صغيرة خلف الدار .. وكانت كاية حظيرة مخصصة للمواشي ، لكننا كنا أفقر من الفقر في تلك الفترة ، لهذا ظلت حظيرتنا خالية مغلقة تؤمها الفئران . هذه الراححة هي راححة الفئران في مكان مغلق ..

ولكن كيف تنبعث راححة الفئران في هذا القصر المعتنى به جيدًا ؟ دعك من أن ( ماجي ) قالت إنها لم تجد فئران بشهادة الأخ ( طارد الفئران ) نفسه ..

هذا البيت تسيطر عليه لعنة مقبضة كنيية ، ومن حسن الحظ أن ( إليانور ) ليست هنا . ربما تخلت قبضتها قليلًا عن هذا البيت الذي أحبه .. ولكن معنى هذا أنها الآن تتسلى بـ ( ماجي ) ..

تري ماذا يحدث في ألمانيا الآن ؟ هذا بالطبع لو افترضنا أنها في ألمانيا فعلاً .. أعتقد أنني سأجد مذكرة تشرح كل شيء في ...

\*\*\*

- « في الغرفة التي أعدتها لك الآتسة .. »

قالها الرجل في حيادية كأنما سمع ما يدور بذهني .. أنا لم أت كل هذه المسافة من مصر كي يقال لي إنه لا أحد في الدار من ثم أحمل حقائبى وأعود ..

على الأقل رتبت ( ماجي ) لإقامتي هنا .. من يدري ؟ ربما وجدت مذكرة ما تشرح كل شيء .. ربما هي عائدة سريعًا .

وهكذا تم ترتيب إقامتي .. عرفت أنه هنا مع مسز ( أوركهارت ) .. ليس هناك سواهما الآن وربما طاهية شابة ، بعد ما كان البيت يعج بالخدم .. ليس الأمر عن فاقة لأن ( ماجي ) واثرة لثروة لا بأس بها ، ولكن لأنها لا تستقبل أحداً ، ولم تعد بحاجة إلى كل هذا العدد من الخدم .. هذا البيت قد شهد أيامًا يستقبل فيها عشرين أستاذًا مرموقًا أو فنانًا شهيرًا أو سياسيًا ناجحًا .. أبوها كان يحب ثانی

أوكسيد الكربون .. بينما (ماجى) مثلى تعشق الأكسجين  
ومساحات الفراغ الهائلة ..

افتادنى الرجل بذات الكبرياء عبر رواق طويل تقف  
الدروع إياها على جانبيه .. كلها تقول لى : انتظر حتى  
المساء .. سوف نمرح كثيرا جدا ..

كأن هذه الدروع الكاملة ذات المنظر البشرى خلقت كي  
تمشى فى الرواق ليلاً .. بعضها يحمل سيفاً وبعضها يطوح  
تلك الكرة المعدنية المعلقة من سلسلة .. أنا لم أمر فى  
حياتى بموقف مماثل ، لكن الفولكلور الأسكتلندى قد جعل  
هذا شيئاً روتينياً إلى حد أن المرء سيشعر بخيبة أمل لو لم  
يحدث ..

أخيراً يفتح لى باب الحجرة .. كنت أود أن أقول لك إنها  
حجرة ذات طابع قوطى مفزع ، لكنها غرفة عصرية جداً  
ورحبة .. جدران وردية حاملة وزهور وملاءات تناسب  
خدر عذراء وليس ( رفعت إسماعيل ) ..

يجب أن أقول إنها كانت تطل على بحيرة بعيدة وسط  
المرتفعات .. لن أنسى هذه البحيرة ما حييت .. ( لوخ نس  
Loch Ness ) .. ربما كان الأخ ( نيسى ) - صديقى القديم -

يسبح الآن تحت المياه باحثاً عن شخص يثير رعبه .. لكن  
الحقيقة إن البشر يثيرون رعبه أكثر مما يثير هو رعبهم ..  
هل تذكرتنى (ماجى) حين اختارت هذه الغرفة بالذات ؟  
يدهشنى كم أن الحاضر الأليم يتحول إلى ذكرى ذات شجون  
بمجرد أن نبتعد عنه ..

كان أول ما بحثت عنه حين دخلت هو تلك الرسالة ..  
المظروف المفلق على الوسادة أو على الكومود ..  
لا شيء .. هى لم تترك لى أى تفسير من أى نوع ..

وشعرت بخيبة أمل .. هناك فصل كامل من الفيلم لم  
يعرضه عامل العرض النصاب .. لكنى سأحاول استنتاج  
ما حدث .. لقد جربت هذا الموقف مراراً فى سينما ( ... )  
التي تعرض ثلاثة أفلام معاً .. لهذا كان عامل العرض  
يحذف فصلين أو ثلاثة من كل فيلم تاركاً الأمر لذكائك  
الخاص .. لقد اختفى البطل الفلاسى .. البطلة تحمل كدمة  
على وجهها فلا بد أن أحداً ضربها .. إذن البطل الفلاسى  
ضربها واختفى ..

سأعرف كل شيء .. ولكن بعد ما أظفر ببعض النوم ووجبة  
سخنة .. إن حبيبات ( نيسل ) فى خلايا مخى قد نضبت ،  
وأحتاج إلى وقت أكثر كي تعيد تجميع نفسها من جديد ..



« العشاء فى التاسعة يا سيدى .. »

سررنى هذا .. الرجل يعرف ما أفكر فيه بشكل يثير دهشتى ..

« ستكون السيدة موجودة ! »

سيدة ؟ هل هناك سيدات ؟

رسمت علامتى استفهام بحاجبى المرفوعين ، فقال :

« السيدة ( جيلبرت ) . إنها ضيف فوق العادة مثلك . وأعتقد أن سيدى سيجد فى صحبتها متعة لأنها شديدة الذكاء .. »

ثم اتصرف بينما جلست أنا أفكر فى معنى هذا .. من هى ؟ لا أعرف أحدًا بهذا الاسم بين صديقات (ماجى) . لكن يمكن بسهولة أن أعرف أنها مرتبطة بالقصة .. رحلة مفاجئة إلى ألمانيا .. سيدة ( جيلبرت ) . كل هذه حبات فى مسبحة واحدة .. ولكن ماذا ؟

سأعرف .. سأعرف ...

\*\*\*

أخيرًا اتجهت إلى مائدة العشاء ..

هذا المشهد الرهيب الذى كان يثير رعبى .. فقط فى الأفلام السينمائية يمكن أن تجلس فى قاعة طعام مثل هذه .. لكن للجو كان باردًا قليلًا .. لادعيات وما من حديث دافئ حار ..

ظهرت فتاة نحيلة ترتدى المريولة ، وصبت فى طبقى بعض الحساء على حين وقف ( جراهام ) يراقب المشهد .. أكره هذا لأننى أشعر بأن الأكل يهبط فى أحشائى بالسم .

هنا شعرت بوجود غريب ..

رفعت رأسى فرأيت امرأة بارعة الحسن .. بارعة الحسن فى مفهوم البشر الآخرين ، لكنك لن تستطيع أن تبيعها إياى مقابل حزمة من الكرفس .. إنه جمال بارد ثقيل سمج .. لا تحب أن تراه ولا تشعر براحة لدنوك منه ..

كانت ترتدى ثياب السهرة وقد تحلت بمجوهرات لا أفهم فيها ، لكن سعرها بالتأكيد لن يقل عن أربعين جنيهًا ونصف .. نعم .. يبدو لى هذا الرقم معقولاً ..

( أين رأيت هذا الوجه من قبل ؟ هذا الشعور يضايقنى )

ضحكت كاشفة عن أسنان بيضاء هى نوع من الأحجار الثمينة بدورها ، وقالت وهى تمد يدها برشاقة :

« لثبروفسور ( إسماعيل ) ؟ »

لست بهذه الثقافة لكنى أزعم أنني أعرف اللهجة الأيرلندية حين أسمعها .. إن من يعرف الإنجليزية جيداً ويعجز عن تبين اللهجة الأيرلندية لهو في مشكلة .. كل الحروف المتحركة تنطق خطأ وبطلاقة وحماسة مشتعلتين ..

بفم ملهى قلت :

- « هم م م ! »

مددت يدي وأنا أتأهب للنهوض ولمست كفها بإصبع واحد ، ثم عدت ألثم طعماً ..

- « أنا ( جلوريا جيلبرت ) .. حدثنى ( ماجى ) كثيراً عنك .. »

ابتلعت ما فى فمى بسرعة وسألتها :

- « إذن أنت تعرفين أين ذهبت .. لا أعنى أين ذهبت بالضبط .. بل أعنى لماذا ذهبت ؟ »

ابتسمت بغموض وقالت :

- « أوه .. أنت تسأل أسئلة كثيرة يا بروفيسور ( إسماعيل ) .. »

هنا قام ( جراهام ) بما كان يجب أن أقوم به ، فاتجه فى

رشاقة إلى مقعد مجاور لى وجنبه ليساعدها على الجلوس .. فقالت وهى تجلس برشاقة :

- « شكراً أيها العزيز ( جراهام ) .. أنت لطيف جداً .. »

وصبت لها الفتاة بعض الحساء ، فراحت تشرب برشاقة من دون الـ ( سليرب سليرب ) التى أقوم بها .. لقد قمت بتصنيفها على الفور . إنها ( دليلة ) أخرى أو ( جامعة رحال ) .. مهمتها أن يسقط فى حبالها كل من تلقاه . بعد هذا يتم التصنيف ، كما يفعل الأخ ( كارلوس لينىوس Linnaeus ) بمجموعة من الخنافس .. هذا لا لزوم له .. هذا يصلح نوعاً .. هذا أحق ويمكن خداعه بسهولة .. هذا راقع ويجب إبقائه بلا فكاك ..

كنت أنا خارج القوائم كلها .. وحرصت على أن أترك فى نفسها انطباعاً واحداً : هى لم تترك لدى أى انطباع برغم هذا الأداء المسرحى الذى تقوم به ...

( ما سر حرف الـ R المعلق فى تلك القلادة ؟ ألم تقل إن اسمها جلوريا !! )

سألتها وأنا أقضم بعض الخبز :

- « من أنت ؟ ( ماجى ) لم تحدثنى عنك قط .. »



- « نحن صديقتان حميمتان .. وقد تواريت من عالمها من زمن .. كنت في الولايات المتحدة .. لكنني عدت مؤخراً .. لم أستطع الذهاب معها ، لذا عرضت على أن أقيم هنا حتى تعود .. وأخبرتني أن على أن أعني بك .. كما .. »  
واتسعت ابتسامتها أكثر ولمست عقدها بيدها وأردفت :

- « كما تعني هي بك .. »

سرت قشعريرة في ظهري لهذا التلميح .. هل هو إغراء ؟ لا أدري .. لقد وصل إلى أجهزة التحليل المعقدة في رأسي على صورة تهديد . تهديد بماذا ؟ لا أعرف .. لكنه أثار ذعري . لو أن قاتلاً من مطاريد الجبل قال لي وهو يخرج بندقيته ( المقروطة ) من جيبه : سنعني بك .. لما أصابني كل هذا الذعر الذي أصابني من كلامها ..

رحت أقطع اللحم بالسكين ، بينما أنا أرتب أفكاري ..

كنت قد رأيت الكثير في حياتي لهذا صرت أعرف هذه القصص حين أراها ..

سأختصر الوقت والجهد : هذه هي (رونيل) السوداء على الأرجح . نعم .. لا داعي لإضاعة الوقت في الاستنتاجات .. (ماجى) تختفى في هذه الظروف والقصر خال .. بينما

تظهر امرأة أقل ما نقول عنها إنها خطيرة .. امرأة يبدو أنها تعتبر الدار دارها وتسيطر على كل شيء .. المنطقى هنا أن هذه (رونيل) السوداء أو - لنقل - امرأة على علاقة وثيقة بها .. دعك من أنني سمعت هذا الصوت الناضج الخشن من قبل .. ودعك من أن هذا تفسير مريح لحرف R المعلق في عنقها .. هذا تلميح (شبحي) خفيف اعتدته من قبل ..

لقد شعرت معها بنفس ما شعرت به حين كنت أكلم تلك الكاتبة (لورين) جوار المقبرة .. الفارق الوحيد هو أن (لورين) كانت بريئة تفتعل الغموض . فماذا عنك يا اختاه ؟

ولكن أين (ماجى) والطفلة من هذا كله ؟

يبدو أنها تقرأ أفكارى بشكل ما لأنها قالت في ثبات وهي تنظر لوجهي :

- « فيم تفكر يا بروفيسور ؟ »

\*\*\*

## 5 - السيدة تظهر ..

انتهى العشاء فجففت فمي بالمنشفة .. وكنت متعباً كحيوان (الكسلان) بعد عشاء يوم شاق من السفر بكل وسائل المواصلات الممكنة ، لذا وجهت شكرًا رقيقاً لـ (جراهام) وأعلنت أنني ذاهب إلى غرفتي ..

ثم هزرت رأسي لها في لطف واتسحت ..

أخيراً أنفرد بالحجرة التي تحمل في كل ركن منها لمسات (ماجى) .. أعرف أنها كانت هنا وأعدت كل شيء ثم ذهبت ذهبت لأين ؟ هل هي بخير ؟ لا أعرف ...

المشكلة هنا أنني لا أملك خططاً من أى نوع .. لا أعرف حركة واحدة في لعبة الشطرنج هذه ..

لكننى على الأقل كنت أملك استنتاجات . الاستنتاج المنطقي الأول هو أن ما يحدث له علاقة بـ (رونيل) . الاستنتاج الثانى هو أن شيئاً ما قدراً يجرى هنا .. الاستنتاج الثالث ليس استنتاجاً لكنه حدس أو شعور فى أحشائى كما يقول الإنجليز Gut Feeling أن هذه المرأة المتحذلقه هى (رونيل) .. ما هو دليلى ؟ لا دليل سوى حدس الأحشاء

هذه .. وأحشائى لم تكن يوماً بحال طيبة على كل حال .. إن فرحة المعدة والإمساك والتهاب القولون لا يتركون لها فرصة كي تشعر بشغافية ..

لوكنت هذه المرأة هى (رونيل) السوداء فأنا فى ملزى .. ملزى شنيع ..

يوماً بعد يوم صرت أقبل هذه الخوارق العجيبة كأنها حقائق . ويبدو أنني صرت مخرفاً حقاً .

لكن لو لم تكن تلك المرأة (رونيل) فأنا فى ملزى آخر .. لا يوجد أى شيء أفعله على الإطلاق ..

كنت قد فرغت من إفراغ حقيبتى حين دق الباب .. طبعاً صار هذا الموقف بدوره مكرراً .. ستكون هى ولسوف تطلب منى شيئاً تافهاً . شباك غرفتها لا يغلق أو شباك غرفتها لا يفتح . طبعاً الغرض الوحيد هو تعويق علاقة ما .. والعلاقة ليست لسواد عيسى ولا لوسامتى التى تخجل الشمس منها ، ولكن لأكون الأحمق الذى يتم توريطه فى شيء ما ..

نقد مررت بهذا الموقف ألف مرة من قبل ومن بعد ، ويبدو أن فى مظهرى ما يوحى بأننى ذلك الأحمق الذى



يعتقد أن حسناء هامت به حباً بعد خمس دقائق من لقائهما ..

شعرت بفيظ عارم من كل هذه الإهانات التي أتلقاها  
بلا سبب وفتحت الباب في عصبية ..

كانت هي بالفعل

السيدة ( جيلبرت ) .

( أين رأيت هذا الوجه من قبل ؟ هذا الشعور يضايقني )

قالت لي وهي تستند إلى الباب في إتهاك :

« أوه .. إنه الصداع . الصداع اللعين .. بحق  
( أبراكساس ) .. خطر لي أن المرء سعيد الطالع إذ يكون  
في الغرفة المجاورة له بروفسور في الطب .. »

ثم وضعت يدها على صدغها لتبين لي كم أن الألم شنيع  
هنا .

بحثت في حقيبتى حتى وجدت أقراص الأسبيرين ، وناولتها  
ثلاثة .. حرصت على أن يحمل وجهى كل معالم المقت  
والاشمزاز كأنها جاءت تطلب غدنى التيموسية وليس  
علاجاً للصداع ..

( أبراكساس ؟ هل قالت : بحق أبراكساس ؟ )

أمسكت بالأقراص في قبضتها كأنما تزنها ، وكأنما ترى  
هل تنجح هذه الأقراص الخفيفة في علاج صداعها العظيم ،  
ثم قالت :

« أوه .. شكراً .. لطيف . لطيف . »

ثم تقدمت إلى داخل الحجرة ، وبحركة مسرحية رفعت  
الأقراص إلى شفتيها المخضبتيين بالأحمر ، وقالت :

« هل يسمح لى الأستاذ العظيم بكوب من الماء ؟ »

( أبراكساس ؟ هل قالت : بحق أبراكساس ؟ )

لا أعرف إن كنت قليل الذوق ، أم أن الإتهاك والتوتر  
جعلنى كذلك .. لكنى وجدت نفسى أتكلم بلا توقف وكانت  
كلماتى عصبية تحمل الكثير من الإهانات :

« بالطبع ليس عندى .. ودعنى أقل لك إن هذه الحركات  
المسرحية لا تؤثر فى . إن كان الغرض هو خداعى - وهذا  
ما أرجحه - فقد اخترت الشخص الخطأ . وإن كان الغرض  
إغراقى - لمسيب لا أعرفه - فقد اخترت أكثر الأشخاص خطأ  
فى العالم .. فلما لا أريد من الحياة إلا أن أراقبها تحت المجهر ،  
بالإضافة إلى أنك - واغفرى لى خشونتى - لا تدروين لى  
على الإطلاق .. ولربما لو كنت فأر المنك لفكرت فى الأمر ،

أو خضت نوعاً من الصراع مع نفسي .. أما وأنت أنت فبنتي  
أتمنى لك ليلة طيبة ، وأرجو أن تفكرى فى كل الأدوية التى  
قد تريدينها الليلة .. فأنا لن افتح بابى ثانية .. »

أنهت هذه الكلمات وعجبت أننى قلتها .. لو كانت هذه  
(رونيل) فقد انتهى الأمر . لا أحتاج إلى أكثر من هذا كى  
أقضى حياتى فأراً .. ولو لم تكن (رونيل) فلسوف توجه لى  
صفعة جديدة بالأساطير .. ربما تطير لى قاطعين وناباً ..  
فقط نظرت لى للحظة ..

( أبراكساس ! هل قالت : بحق أبراكساس ؟ )

نظرة باردة طويلة . بلا أى تعبير .. المخيف أنها بلا أى  
تعبير ..

ثم - دون كلمة واحدة - غادرت الغرفة .. وأغلق الباب  
وراءها ..

يبدو أننى كنت مخطئاً .. لقد آذيت شعور هذه الفتاة  
البريئة المصابة بالصداغ . لن أكف عن لعب دور الأحمق  
ما حييت . على كل حال أنا فى حالة عصبية كريمة .. من  
الخير لها ألا تحتك بى أبداً ..

غسلت أسناتى وارتديت منامتى .. وتأهبت لليلة طويلة  
مريحة .. سأنام كجثة من العصر (الباليوزى) .. حتى وإن  
كنت قلقاً فلسوف ألقى بشكل أفضل حين أصحو وأسترد  
قواى ..

(ماجى) العزيزة .. أين أنت ؟

شئ فى أعماقى خافتاً كقطعة جمر تحت الرماد ، يقول لى  
إن الأمر ليس بهذا التعقيد .. ستعود (ماجى) سالمة .. على  
الأرجح هى سمعت عن طبيب نفسى ألمائى بارع وقررت  
أن تجرب حظها مع الطفلة هناك .. رحلة خاطفة وتعود  
بعدها ..

طك .. طك !

هذا صوت الباب لو لاحظتم ..

هذه المرة لن أكون فظاً .. سأتكلم بشئ من العقل  
والهدوء ..

اتجهت للباب وفتحته .. هنا وجدت (جراهام) الوقور  
يقف حاملاً كوباً على صينية أنيقة ، ويقول برصانة :

« أوامر الآتسة (ماكيلوب) معذرة ياسيدى .. لكن  
بوسعتك ألا تشرب .. »



نظرت للكوب فى عناية .. هذا لبن بارد ممزوج بالشيكولاته .. لمسة أخرى من لمسات عناية (ماجى) بى ، فهى لم تتسأتنى كنت أشربه قبل النوم فى الزمن الغابر .. تفاصيل كهذه تدير رأسى حقاً .. وقد كفت عن شرب اللبن أساساً من زمن لكن اللبن لا يرد .. دعك من تلك اللمسة الرقيقة .. حتى بعد رحيلها حرصت على أن ...

— « شكراً يارجل الطيب .. »

وتركته يضع الصينية على النضد . ثم خرج وأغلق الباب ، فرفعت الكوب إلى شفتى ورشفت رشفة طويلة .. طويلة .. وكان هناك شلالاً يصب الذكريات فى قلبى ..

أغلقت للنور ورقدت فى الفراش لأمل تلك قشاشة السوداء المعلقة فى هواء الغرفة ، والتي تعكس أفكارنا بوضوح

قلت لنفسى وأنا أتساءل : برغم كل شىء .. هذه المرأة هى (رونيل) ذاتها .. الآن أتذكر من هو (أبراكساس) هذا .. إنه من شياطين العالم السفلى ذوى الشهرة والشعبية .. مثله مثل (بيلفاجور) و(عشروت) وسواهم ..

لم تقلها سهواً ، ولكن كانت تنقل لى رسالة واضحة ...

لكن ما هى ؟

\*\*\*

للصباح ...

الشمس الأسكتلندية الجميلة تتسلل من النافذة ، وأنا لم أر الشمس الأسكتلندية إلا ست مرات فى حياتى ..

يا للعذوبة ! هذا هو الربيع الذى أحكم سيطرته على كل شىء .. لم تعد هناك تفاصيل منسية ..

بحيرة (لوخ نس) تتمطى بعد نعاس طويل ، ومن بعيد ترى التلال التى غطتها الخضرة ..

إنه موعد الإفطار .. إن الشاعرية تحرك لدى غريزة الجوع ، ولا أعرف السبب .. ملاحظة سبقتى إليها العبقري (أحمد رجب) حين وصف ما يسمى بالفدة (الأكلوغرامية) التى تجعل العاشق يترنم ناظراً للسماء قائلاً : (أه يا ليل يا قمر) .. ثم ينظر إلى أسفل قليلاً فيقول من دون مناسبة : (العنجة طابت عالشجر ..)

قررت أن أنزل إلى الحديقة قليلاً .. هناك حديقة لا بأس بها أبداً هنا ، وقد شعرت أننى - ربما منذ زمن صحيح - أريد أن أرى الأثرار . إننى أكتسب عادات سيئة فى الفترة الأخيرة .. يبدو أننى صاحب الأطفال كذلك ..

خرجت من القصر ، ومشيت في الحديقة .. ترى من يعنى بها الان ؟ لا بد أن هناك مستاتياً غير متفرغ يأتى للعناية بها لأن شئها أعقد من أن تكلف بها مسز ( لوركهارت ) أو ( جراهلم ) ..

الآن أنا أمشى تحت نافذتى .. أراها من أسفل .. أطأ العشب فأشم رائحته الطازجة الرطبية ..

هذه نافذة أخرى مفتوحة .. لا أحتاج إلى ذكاء كبير كي أعرف أنها نافذة تلك المرأة الغامضة .. ترى هل أفادت من نومها ؟ ترى كيف تبدو فى الصباح ؟

وابتسمت فى سرى .. كما يقولون : لا يحتاج الأمر إلى معجزة كي تكون جميلاً فى الربيع !

ثمة أشياء غريبة نوعاً على الأرض .. يمكن ألا تراها لكنى فعلت .. وقد انحنيت على ركبتى لأفحصها بعناية أكثر .. بدلت عويناتى لأحسن مجال الرؤية .. الإرسال التالف قد تحسن بعد ضبط الهوائى ...

هذه أشلاء أرنب . لا أعرف سبباً واحداً لوجود أرنب هنا ، لكنه بحال طيبة والطقس دافئ .. لم تكن هذه بقايا وجبة من وجبات ( إلياتور ) الصغيرة التى تأكل الفئران وإلا لتعطنت ..

ثم ما هذا أيضاً ؟ حمامة وعصفور دورى رقيق .. لقد تمت إزالة الريش عن بطن الطائرين ، وتم تمزيق البطن بعناية ربما لانتزاع الأحشاء ..

لا أعرف السبب فى وجود هذه الأشياء .. هل رزقهم الله بنمس ؟ لكن هل النمى يزيل ريش ضحايا قبل التهامها ؟ نمى انتقائى جداً يمارس عمله كأساتذة الجراحة .. بل هو راقى كذلك ..

الخلاصة أننى لم أشعر براحة لما رأيت وهذا من حقى .. لكن ما هو أسوأ هو أننى لا أفهمه ..

هل تلك المرأة تجلس وحدها فى حجرتها ، تتسلى بأكل الأرتاب والعصافير الدورية نية ؟

كنت لأقبل هذا التفسير وأرحب به لو أنها التهمت هذه الكائنات البرينة بالكامل ..

وهكذا تبذل مزاجى إلى النقيض ولم يعد الربيع يبدو لى ربيعاً إلى هذا الحد ..

عدت إلى الداخل ، وتعميت لو أعتر عن الإفطار .. لكنى أمقت الأسئلة الكثيرة ..



- « أخبرتني أن على أن أعنى بك .. كما .. »

واتسعت ابتسامتها أكثر ولمست عقدها بيدها وأردفت :

- « كما تعنى هي بك .. »

\*\*\*

على مائدة الإفطار وجدت كوب اللبن بالشيكولاته إياه ..  
كان هناك عصير برتقال وقهوة .. لكنني وجدت نفسي راغباً  
بحق في أن أظفر بالشيء الوحيد الذي يحمل أثر (ماجى)  
هنا .. أن أشعر به في أحشائي .. وأن يسرى في عروقي ..

قلت لها في سرى :

- « يالك من خائنة .. تخليت عني وسط هذه الأكفاز ..  
وكنت أمل في أن تكوني بجائبي .. »

وأفرغت كوب اللبن في جوفى ، ثم جففت بمنديل ورقى  
ذلك الشارب الأبيض الذي تكون لي حتماً ، بينما سمعت  
خطوات السيدة قادمة ...

جلست جوارى .. فرفعت عيني نحوها متسائلاً ..

كانت مشرقة كالشمس .. وخطر لي أن مزاجى السنين  
أمس جعلنى لا أحسن القول ولا الفعل ..

ولا تقدير الجمال !

إن من لا يعتبر هذه السيدة واحدة من أجمل خمس نساء  
على وجه الأرض ، فلا بد أنه مجنون أو كفيف .. صحيح أنه  
( لا يحتاج الأمر إلى معجزة كي تكون جميلاً في الربيع ) ..  
لكنك تحتاج إلى مليون معجزة كي تكون فاتناً في الربيع ..

قلت لها متودداً :

- « أرجو أن يكون الصداع قد زال .. »

نظرت لى وابتسمت .. لقد زالت العاصفة إذن وكلماتى لم  
تترك ندبة لا قرول ..

( لم تربط معصمها ! هل جرحته أمس ؟ )

قالت :

- « الصداع زال فعلاً وإنى لك لشاكرة .. كما زال أثر  
كلماتك القاسية .. »

- « كنت مرهقاً بفعل السفر لا أكثر .. وكنت أشعر أن  
الكون يستفزنى في مباراة كلامية .. »

- « كلنا ذلك الشخص .. ألسنا كذا ؟ »

وراحت تنقل لطبقها كميات هائلة من ( البيكون ) الذى لم

أمسسه بطبيعة الحال .. لكنى اندهشت من تلك المرأة التى  
تبدأ يومها بالتهام كل هذا اللحم ..

وكالعادة سمعت السؤال فى ذهنى .. هى بارعة جداً فى  
سماع الأفكار كما لاحظت ..

قالت وهى تنقل المزيد :

- « أنا على نقىض النباتيين تماماً .. أؤمن أن اللحم والسمك  
والبيض هم عماد الجمال .. إن جسدك يتكون من البروتين ،  
فكيف تعطيه ما ليس بروتينياً ؟ دع للنباتيين طعامهم  
ينعمون به .. يأكلون الكرفس على الإفطار والبطاطس على  
الغداء والبازلاء فى العشاء ، ثم يقولون إنهم يبحثون عن  
الخلود والجمال .. »

قلت باسمًا :

- « يسهل الاعتقاد بصحة نظريتك حين ينظر المرء لك  
طويلاً .. لقد بدأت أفكر فى شراء بقرة حية لأضعها فى مطبخ  
دارى بالقاهرة .. وسوف أقطع منها قطعة قبل كل وجبة ! »

ضحكت طويلاً فضحكت أنا الآخر .. يحب أى رجل المرأة  
التي تضحك لدعاباته .. ثم سألتها :

- « لا أريد التدخل فى شئون خاصة .. لكن أين المصتر  
( جيلبرت ) ؟ »

ابتلعت ريقها .. وصارت كلماتها بطينة مما جعلنى أوقن  
أن هذه ذكرى أليمة أو على الأقل ليس لى حق السؤال  
عنها :

- « نحن منفصلان .. وآخر ما سمعته عنه أنه فى ألمانيا ..  
وأنه سجين .. »

قتهى الطعام فخرجنا معاً نمشى على شاطئ ( لوخ نس ) ..  
كنت سعيداً كخنزير ... كدودة فى مقبرة جماعية ( مادمتم  
لا تحبون التشبيهات للصائمة ) .. وبدأ لى أن كل ما شعرت  
به أمس كان وهماً ..

لا أعرف متى تأبطت ذراعى وراحت تتحدث .. تتحدث  
عن أشياء كالحلم لا تعرف ما هى ولا تذكرها ، لكنك تنبهر  
بها .. وبدأت أدرك أنني لست قبيحاً إلى الحد الذى  
حسبته .. إنها لا تفعل شيئاً .. هى فعلاً تميل لى ..

وعند العصر كانت تجلس على صخرة تطل على  
البحيرة ، وبصوت رخيم عميق راحت تغنى .. كانت تغنى



أغنية لاتينية لم أفهم منها حرفاً لأنها تبدو للآذن كصفحة من كتاب تشريح (جراي) .. لكن هذا بالضبط ما أريد ..

\*\*\*

يقولون : اقتل أى شخص يتكلم اللاتينية بطلاقة ، ما لم يكن هو القس الكاثوليكي ..

\*\*\*

عندما جاء الظلام ، تناولنا الشاء مغا ونحن لا نبعد عيوننا عن بعض ..

كنت فيما مضى أسخر من فلسفة ( السوليسيزم Solipsism ) أو إيمان الشخص بأنه لا حقيقة فى الكون إلا ذاته .. لكنى بدأت أعتقد أننى كنت أحمق .. هناك حقيقتان .. أنا وهى ..

ما أجمل هذا ! القصر كله لنا للأبد .. وحيدان عند نهاية العالم ، حيث لا صخب يعكر صفونا إلا صيحات ( نيسى ) العزيز فى الليل لو كان ما زال فى البحيرة ..

وحين عدت إلى فراشى رحت أدندن وأنا أنظر إلى الليل الصامت بالخارج :

« ابتديت دلوقتى بس .. أحب عمري .. ابتديت دلوقتى أخاف

للعمر يجرى ؟ »

وهنا - كالعادة - تذكرت شيئاً .. دائماً أتذكر شيئاً قبل النوم كأن ذلك العقل الواعى فى داخلى لم يكن معى .. كان منهما قلب الدفاتر والمراجع وعويناته على أنفه .. كنييماً جاداً كموظف أرشيف لا يعرف المزاح .. مفتش فى الجهاز المركزى للمحاسبات لا يرتشى ولا يسعى إلا للحقيقة .. وفجأة فى هذه اللحظة بالذات يعلن ما توصل إليه بعد يوم مشاق من العمل :

- « قلب حكمة .. كلية أرنب برى .. كبد عصفور نورى .. ربما رحم ( سنونو ) كذلك .. ( رفعت ) يا بنى .. هذه هى مقادير ( رحيق الحب ) الذى كانت الساحرات يصنعه فى القرون الوسطى ! »

قلت فى لا مبالاة وأنا أصاحب الإيقاع بأناملى على خشب الفراش :

- « وما فى هذا ؟ »

- « معناه أن تلك المرأة كانت تحضر لك ذلك المزيج فى غرفتها أمس .. وأنت شريته ! غالباً مع اللبن الممزوج بالشيكولاته .. »

- « وما المشكلة ؟ »





لا أعرف كيف أحكى هذا الجزء لأنى بالفعل لا أذكر عنه  
أى شيء . لكنها أكدت لى ذلك ، وقالت إننا تزوجنا  
كما يفعل المسلمون ، حين قصدنا ( أدنبرة ) وطلبت مشورة  
الجالية المسلمة هناك .. هكذا قالت ولا أستطيع أن أنفى  
أو أؤكد .. لماذا تكذب على ؟ أين الأوراق ؟ لم تأت من  
( أدنبرة ) بعد ..

فقط أعرف أن هناك صوراً لى أضحك فى بلاهة وأجلس  
معهما وسط مجموعة من الناس فيما يشبه حفل زواج ..  
بعض وجوه هؤلاء يمكن أن تكون لعرب . هناك خاتم حول  
إصبعى .. تقول إننا اشتريناه فى ذلك اليوم من أدنبرة ..

حقاً لا أذكر شيئاً من هذا لكنى أتق فيما تقول ..

فقط رحلت أضحك حتى استلقيت على قفاى .. هنا  
بالذات ؟ ومع هذه المرأة التى لم أكن أعرف عنها حرفاً من  
أسبوع ؟ هل هكذا تنتهى أسطورة العزب الأبدى  
( رفعت إسماعيل ) ؟

كل الثثرة عن حياتى التى لا تتحملها زوجة ؟ كل  
الرومانسية الصناعية مع ( هويدا ) وكيف اتهار كل شيء  
فجأة ؟ كل قصتى الأبدية مع ( ماجى ) ، والكلام عن وجه

القمر الذى من الخير لنا أن نبقى بعيدين ، كى لا نرى  
ما عليه من فجوات وبثور ؟ كل عروض ( عزت ) و ( محمد  
شاهين ) ؟ كل هذا انتهى هنا ومع ( جلوريا ) ؟

انتهت أسطورة العزب الأبدى .. فارس ( النينجا ) المتوحد  
الذى لو تزوج لفقد سر تميزه ..

أتمنى فقط أن أرى وجه ( ماجى ) لو كانت حية حين  
تعود لتجد أننى تزوجت أعز صديقة لها ! والجميل أننى  
أمضى شهر العسل فى قصرها بالذات !

مصر ؟ لم أعد أذكر كم بقيت هنا .. العمل والشقة  
و ( عزت ) وقريتى .. هل هذه الأشياء وجدت حقاً ؟ إنها حلم  
بعيد .. لا بد أننى هنا منذ قرون .. منذ أطلقي ( التيروداكتيل )  
صرخة الميلاد وحلقى فوقى برك القطران ، حيث تفرق  
الديناصورات على الأقل حظاً .. منذ انفصلت الأمريكتان عن  
إفريقيا وغاضت ( الأطلنطس ) فى قاع المحيط ..

حقاً كانت ( جلوريا إسماعيل ) - نعم .. هذا هو اسمها  
الآن - ساحرة .. لكن أى سحر !

رحيق الحب ؟ وما فى ذلك ؟ ما أجمل أن تريدك المرأة  
لدرجة أن تقضى الوقت فى صنع تلك الوصفات المقرزة  
لتفوز بك .. هذا يزيد من قدرها فى نظرى ...

ويبدو أننا مشينا على شاطئ (لوخ نس) ملايين  
المرات .. يبدو أنها غبت باللاتينية آلاف المرات .. يبدو  
أننى قطفت لها كل زهور (جرامبيان) .. وشريت العشرات  
من أكواب اللبن المزوج بالشيكولاته .

فقط هناك أشياء تصاليقنى ..

أشياء صغيرة جداً ..

كنت قد انتقلت للإقامة معها فى غرفة أوسع أعدها لنا  
(جراهام) .. وأول ما لاحظته هو أن هناك ضجيجاً يأتى  
من داخل الجدران .. بالذات فى الليل .. كأن هناك ممرات  
سرية تمشى فيها للقرنان .. صوت الخدوش المستمر هذا ...

و(ماجى) الحمقاء تزعم أنه لا توجد قرنان فى هذا القصر ..

ثم عاداتها الغريبة .. عادات (جلوريا) لا (ماجى) طبعا ..

تخيل أن تدخل الحمام بعد دقائق من استحمام شخص فيه  
لبن الحمير ! هذا شيء غريب .. لكنى سمعت عن هذه العادة  
من قبل ، وهى إحدى وسائل التجميل الشهيرة للحفاظ على نضارة  
الجلد .. لكن .. لبن حمير ! ومن أين تلتى بكل هذه الكمية فى  
(إفرنسباير) أنا الذى لم أر إلا حملاً واحداً فى مرآة الحمام ؟

مثلاً ما كل هذه الأعشاب الغريبة التى تحتفظ بها فى  
الشرفة لتجففها كما تفعل أمهاتنا مع الملوخية أو النعناع ؟

مثلاً .. ماسر أدوات التجميل الغريبة التى تحتفظ بها هنا ؟  
أدوات تجميل من خامات طبيعية ولا تمت بصلة لأية شركة  
أعرفها .. ومنذ متى كانت الضفادع الميته مهمة للتجميل ؟

لكن هذه أشياء بسيطة جداً .. سمعت عن نساء يضعن  
القشدة على وجوههن ، ويثبتن قناعاً من قشر الخيار ، مع  
وضع نصف ليمونة على كل جفن .. حتى يصعب عليك أن  
تتصور أن هذه امرأة وليست زومبياً سينهض بعد قليل  
ليفتح جمجمتك ويلتهم مخك ...

إن المرأة من أجل الجمال تفعل كل شيء ، وليست  
(جلوريا) باستثناء ..

ولا أنكر هنا أن أساليبيها ناجعة .. إن النتيجة تحدث عن  
نفسها بلا حاجة إلى أية إيضاحات أخرى ..

فقط كن صريحاً معى .. لا تقل إلا الحق .. هل رأيت فى  
حياتك من هى أجمل وأرق أو أكثر فتنة منها ؟ ألا ترى معى  
أنها المادة الخام للأوثنة . حتى لتشعر بأن النساء  
الأخريات هن أجزاء منها ؟

وقالت لى :

- « هل تريد أن تستعيد شبابك ؟ بوسعى ذلك .. فقط دع نفسك لى .. »

قلت لها باسمًا :

- « جربت ذلك ذات مرة ، وكنت النتيجة مؤسفة .. وكنت أستاذ فلسفة تبدل لى كوالفلى للمتسخة لمدة أسبوع .. أما إن كنت تتكلمين عن الخلود فهو مستحيل .. ولو حدث جدلاً - وهو كما قلت مستحيل - فلن يزيد على موقف ( نيتون ) و ( أورورا ) فى الأساطير الإغريقية .. لقد منحته الخلود لكنه ظل يشيخ إلى أن فقدت القدرة على تحمله وقد صار عجوزاً طاعن السن .. هكذا أحواله نطاط حقل .. »

قالت باسمًا :

- « هل تظن أننى قد أحييك نطاط حقل يوماً ما ؟ »

نظرت لعينيها الزرقاوين الواسعتين وقلت بصدق :

- « نعم .. للأسف نعم .. »

\*\*\*

لا أدري لماذا خطر لى ذات مرة أن أدخل حجرتها القديمة . إننى أعرفها لأنى وقفت تحتها ذات مرة ..

كان الباب مفتوحاً والإغراء قوياً .. وخطر لى أننى أريد أن ألقى نظرة على زوجها السابق .. لا بد أن له صورة على الكومود . هو مجرد فضول لا أكثر ولا يعنى شيئاً ، لأن بوسع أى شخص فى العالم أن يكون أجمل وأقوى منى .. هذا لا يحتاج إلى موهبة ما .. كل شخص يمكن أن يكون جميلاً فى الربيع ، وكل شخص يمكن أن يكون أفضل من ( رفعت إسماعيل ) ..

( لكننى تزوجتها برغم كل شيء .. وحرمت أنت منها يا أحمق ! )

بالفعل كانت الغرفة خاوية تماماً .. لقد أفرغت من أكثر الأشياء التى تخصها ، ويبدو أنه لم يتم تنظيفها من فترة طويلة .. إن المسز ( أوركهارت ) مسنة طبعاً ، ولا أتوقع منها أن تعنى بكل التفاصيل .

الغريب هنا أن الستائر جميلة جداً .. بنفسجية من أرق وأجمل درجة يمكن وصفها برغم مقى لهذا اللون عامة . هناك ورق حائط زاهى اللون مزركش بالأزهار .. وهناك دمية معنقة لا ليست دمية ( فتيش ) ولكن دمية لشخصيات ( ديزنى ) .. وهناك قضيب قطار ألعبية يدور حول نطاق الغرفة كلها .. قطار صغير مصحك له عيان وشارب بدلاً من الكشافات وعارضة التصادم الأمامية ..



هذه الغرفة لا تناسب امرأة ناضجة ، وبالتأكيد لا تناسب ساحرة ..

أزحت ستار النافذة ورحلت أرمق المشهد من عل .. من هذه النافذة ألقت ببقايا السنونو والأرنب .. ولا بد أن الحجرة كانت تختلف عن هذا كثيرا .. ذلك الشيء منطقي فلا يمكن أن تترك أي أثر سابق يدل على نشاط مريب ..

هنا سمعت موظف الأرشفة الجالس في ذهني يتململ ..

\*\*\*

« كنت الآن أقف أمام غرفة ( إلياتور ) بالضبط .. تلك الغرفة التي أحلتها قطعة من ( ديزنى لاند ) بالسستائر الجميلة ، وورق الحائط المزركش بالأرهار ، وكل الدمى التي نثرتها فيها .. إن الشيطان الذي يتسلل إلى هذه الحجرة لهو شيطان طفل بالتأكيد .. »

\*\*\*

( ماجي ) قالت هذا في خطابها .. فلماذا أنكره الآن ؟

يوجد خاطر أبله يتلاعب في ذهني ولا يمكن أن نعطيه أي قدر من الاهتمام أو الاحترام ..

لكن .. أنت رجل منطقي .. والمنطق يؤكد شيئا واحدا .. هذه كانت حجرة ( إلياتور ) الطفلة يوما ما .. ثم تركتها .. فلماذا اتخذتها ( جلوريا ) مسكنا لنفسها ؟

ومن جديد أواصل البحث عن دليل ما ..

هناك حمام ملحق بالغرفة كغرف الفنادق والمستشفيات .. أفتحه وأدخل ..

توجد مرآة .. يوجد مفطس صغير .. ثمة ثياب معنقة وراء الباب ومكدسة في حاوية صغيرة من البلاستيك .. لماذا لم تأخذ ( جلوريا ) هذه الثياب معها بعد انتقالها إلى ( عش الزوجية ) ؟

لست فضوليا إلى هذا الحد ، لكن شيئا في هذه الثياب جعلني اتفحصها بعناية ..

السبب هو الحجم .. ثمة ثياب قصيرة صغيرة الحجم تناسب طفلة .. طفلة في الثامنة لا أكثر ولكن هناك ثياب أكبر حجما .. ثياب تناسب فتاة مراهقة في الثالثة عشرة أو ما هو أقل من السادسة عشرة .. ثمة ثياب تدل على شابة في العشرين تقريبا .. كلها ثياب لا تناسب ( جلوريا ) ولهذا أفهم لماذا لم تأخذها معها ..

ما معنى هذا ؟

انتصبت شعرتان أو ثلاث في رأسى هى ما بقى كما  
تعلمون ..

الجواب الخافت الذى أعلن عن نفسه من قليل يصيح  
الآن بحرارة :

ألم تفهم بعد أيها الأحمق ؟ هذه المرأة ( جلوريا ) التى  
صارت زوجتك .. هذه المرأة التى فى العقد الثالث من  
عمرها .. هى ذاتها الطفلة ( إلياتور ) !!!

\*\*\*



## 7- المزيد من الاجتماعيات ..

نعم .. أعرف أن هذا التفسير أبه ..

أعرف أنه غريب ..

أعرف أنه يحتاج إلى الكثير من الصودا والمهضمت  
كمعقب ، كي يمكن هضمه ..

لكن هذا هو الحل الوحيد ، وإلا فـ ( ماجى ) كانت  
تستضيف فى هذه الغرفة كتيبة من الفتيات من أعمار  
متباينة ..

أما الشيء الغريب فهو أنني لم أشعر بخوف ولا نفور  
ولادهشة ..

.. بدا لى الأمر منطقياً تماماً ..

تذكرت الطفلة ( إلياتور ) الرقيقة للخائفة تحتوى  
بـ ( ماجى ) وكيف أنقذناها من السحرة فقط لنذكر أننا جننا  
متأخرين .. هذه الطفلة بمعجزة ما قد صارت زوجتى !

إن الأيام تجرى .. لكن ليس بهذه السرعة !

لو كان كلامى دقيقاً فالطفلة قد نمت العشرين عاماً فى

شهر ونصف .. وهذه هي مشكلة أن تكون جربت كل شيء حتى لم تعد تتدهش لشيء . أنا مررت بتجربة مماثلة ، وكنت د . ( كاميليا ) تقول إنها كتبت ترقى لكبر أمام عينيها ! لهذا أفهم أن يحدث شيء كهذا أفهمه ولا أصدقه ..

أنا تزوجت الطفلة ( إليانور ) التي صارت - بشكل ما - ( روتيل ) السوداء ..

\*\*\*

في الأيام التالية حملت ( جلوريا ) ورزقت بطفل ..

لا أعرف كيف أفسر . كل شيء هنا يتم بسرعة غير معقولة . والغريب أنني لا أجد هذا غريباً ..

رزقت به في صباح يوم جميل من شهر ( يونيو ) ، وكان أقرب في كل شيء إليها .. يقولون إن الطفل الأول يشبه أباه في كل شيء لكن هذا الطفل كان نسخة منها .. ليس أصنع وليس نحيلاً . وكنت أتخيل ابني يشبهني في كل شيء .. ربما يحمل شاربي وعويناتي بينما يظل رأسه من ( القماط ) صارخاً ..

على كل حال حملت الصغير بين ذراعي ، وقد بدا لي رقيقاً لطيفاً . إن هذه الأشياء التي تحدث لي هذه الأيام

بالذات لجديرة بكتيب لكل منها .. شم رائحتي فتقلصت كل ملامح وجهه الصغير ، ثم عطس عطسة لا بأس بها أبداً .. إنه محبب كهرة صغيرة .. على الأقل هو لم يمت هلعاً حين رأيته ..

فقط أدعو الله ألا ترضعه حليماً ممزوجاً بالشيكولاته .. هذا الحليب الذي جعلني لا أعرف من أنا من زمن ..

سألتني وهي منهكة شاحبة كما تجيد الأمهات أن يبدن :

- « ماذا ستطلق عليه ؟ »

لا أعرف .. لم أجرب خبرة إطلاق اسم على طفل رضيع من قبل .. إن اسم ( كمال ) لا بأس به لكن ( كمال رفعت ) اسم دبلوماسي مصري مرموق ، وأنا أكره أن أسمى له بأن استخدم الاسم ذاته مع ابني .. المشكلة مع اسم ( رفعت ) إن الخيارات الموسيقية محدودة جداً و...

- « ( سمير ) طبعاً .. لا أعرف اسماً آخر .. أنا لم اختره لكنه اختارني .. »

- « هل له معنى في العربية ؟ »

- « صديق .. صاحب .. ونيس .. شيء من هذا القبيل .. »



وبرفق وضعته جوارها محاذراً من أن ينخلع عنقه الصغير ويتخرج على الأرض ..

قالت باسمعة وهي تربت على ذراعه :

- « سيكون رفيقك في رحلتنا المزمعة .. ستكون بحاجة إليه .. »

- « رحلتنا المزمعة ؟ »

نظرت لى فى ثبات وقالت :

- « نعم .. أنا وأنت راحلان إلى (روشتوك) .. »

عرفت من طريقته المصممة أننا فعلاً راحلان إلى (روشتوك) .. لا مفر من هذا .. ولكن ...

- « ما هي (روشتوك) هذه ؟ »

- « ألمانيا الشرقية . قرب ساحل (البلطيق) .. حسبتك تعرف أوروبا جيداً .. »

ما موضوع ألمانيا هنا ؟ أسمع عنها أكثر من اللازم هذه الأيام ..

- « هذا جميل .. ولكن ما هو المبرر القوي كى .. ؟ »

من جديد قالت فى ثبات :

- « أنت لا تسأل أسئلة .. فقط تمتثل .. »

حقاً كنت أعرف أنها قوية جداً .. لا أعرف السبب لكنى لم أكن أشعر بشيء مريب أو مقتق فى هذا .. والحققة أننى منذ قابلتها لأول مرة أتحرك بالضبط فى المسار الذى تحدده لى .. لقد تزوجتنى ولم أتزوجها .. هى تريد أن تأخذنى إلى ألمانيا الشرقية ، وأنا لا أرغب فى الذهاب هناك .. لكنى سأفعل ..

وهكذا ابتسمت لها فى غياب وغادرت الحجرة ..

\*\*\*

كانت فى غرفتنا ، وكنت أجوب الردهة مفكراً فى عمق ..

هنا خطر لى خاطر .. ماذا حدث لحجرة (ماجى) ؟ من الغريب أننى جبت كل أرجاء القصر ، لكنى لم أدخل حجرتها بعد .. لقد دخلتها عدة مرات فى زيارات سابقة لكنى لم أرها هذه المرة ، ولعل الأحداث المتلاحقة التى انتهت على منذ جئت هنا ، جعلتنى عاجزاً عن إيجاد الوقت الملائم ..

كانت غرفتها موصدة ، ولم أجسر على أن أطلب مفتاحها من (جراهام) .. لا أحب الأسئلة ..

فكرت في مكتبها .. قد كان هو مكتب أبيها قبل وفاته ، وهو يحمل قدرًا لا بأس به من راحتها .. اتجهت إلى هناك ودعوت الله ألا يكون موصدًا .. بالفعل أجيب دعائي ، وأدبرت المقبض لأجد نفسي في ذلك العالم الخاص .. الكمبيوتر على المكتب .. وفي ذلك العصر كان الكمبيوتر شيئًا ديناصوريًا لا يملكه إلا الأثرياء ولا يتعامل معه إلا العباقرة .. وكانت سعة أفضل الأجهزة لا تتجاوز 64K .. باختصار كان الكمبيوتر المنزلي وهما من أوهام الخيال العلمي .. أوراق مكتومة من أطروحة ما .. آلة حاسبة .. أجهزة فيزيائية لا أعرفها وأشك في أن الخواجة (نيوتن) يعرف ما هي ..

جوار الأوراق كان هناك قذح جف ما به ، لكني لا أشك في أنه (الكابوتشينو) .. عصارة الأفكار كما تقول (ماجى) ، حتى أنني صرت أنظر إلى هذا المشروب الكريه نظرة احترام ..

وجوار الأوراق - أيضًا - كان إطار صورة صغير يقف شامخًا .. في هذا الإطار كان وجه أعرفه .. صحيح أنه أجمل وأغزر شعرًا لكنه وجهي ..

ولم أتمالك دمة سالت على خدي ..

أين أنت ؟ ماذا حل بك ؟

الغريب أنها لم تقل لي قط إنها تضع صورة لي على مكتبها .. بالأحرى كانت تتكر ذلك بعنف كأنما أهينت ..

جلست إلى المكتب ورحت أقلب الأوراق .. هنا لمست يد شينا له ملمس مألوف .. هذه الأوراق ..

كانت هذه هي الأوراق التي وجدتتها جوار جثة (لورين بلاك) والتي عرفت منها موضوع (إلياتور) .. إنني لم أقرأها بعناية ، وحين رحلت تركتها لـ (ماجى) .. فهل مازال فيها ما يهم ؟

من الجلى أن (ماجى) كانت تدرسها بعناية .. هناك قاموس صغير للغة لا أعرف ما هي (هل الجرمانية القديمة ؟) وضع على المكتب وقد أغلق على قلم رصاص .. (ماجى) بذلت جهدًا كبيرًا في فهم بعض المخطوطات الجرمانية .. هذا واضح ..

دسست هذه الأوراق في جيبى وواصلت البحث .. أراهن على أن هناك الكثير مما يهمنى على هذا الكمبيوتر ، لكني لا أعرف كيف أفتحه ولا كيف أبحث عن شيء فيه .. لو كانت (ماجى) تركت لي رسالة عليه فهي حمقاء ..

وهكذا حملت غنيمتى واتجهت إلى الحديقة ..

كان هناك مقعد جوار نافورة صغيرة ، وهى ليست نافورة بالضبط بل هى أقرب إلى إناء شرب للطيور .. من هنا يمكن الحصول على سنونو أو عصفور دورى .. لا بد أن هذا هو المكان ..

نظرت حولى فلم أر متلصصين .. فتحت الأوراق وبدأت أقرأ ..

من البداية ...

\*\*\*

بعد ساعة من التركيز بدأت أكون رأيا ..

هذه الأوراق تحوى مجموعة من الكلام الفارغ .. نقاط تتوى الكاتبة الفقيدة أن تفيد منها فيما بعد .. هناك ملحقات باللغة التى لا أعرفها يبدو أنها من وثائق أصلية وقد نسخت نسخاً باليد .. رسمتها الكاتبة كما ترسم أنت نقوشنا هيروغليفية لا تفهم ما هى .. لا أفهم هذا الجزء على كل حال .. فقط كانت الفقرات المهمة هى التى قرأتها على (ماجى) فى المرة الأولى ..

لكن الفقرة التالية هى الجديرة بكل هذا العناء :

- « كانت مشكلتى هى معرفة من أين بدأت (رونيل) .. أين تعلمت السحر ومتى صارت شريرة ؟ تتبع (رونيل) نفس الخيط الذى يقود إلى ساحرات أخريات ظهرن فى أوروبا فى تلك الحقبة .. لاحظت أن الساحرات اللاتى يعمن بواصلن الحياة بشكل آخر فى أجساد أطفال .. وهؤلاء الأطفال ينمون ويصيرون سحرة بدورهم .. والخيط يبدأ أو ينتهى عند جزر البلطيق .. هل هذه هى بلاد القوط الشرقيين ؟ على الأرجح الإجابة هى نعم .. إن الأسطورة قوية جداً ، وقد سمعتها بأكثر من توزيع ، لكنها جميعاً تتحدث عن الشيء ذاته .. لقد انتقل السحر إلى (رونيل) من واحدة أخرى أعدمتم فى زمن سابق .. وهذه الأخرى أخذت العدوى من أخرى .. كأننا نتحدث عن مرض الكلب هنا (بكسر اللام لقراء العربية طبعاً) ..

« هناك فى إحدى الجزر ببلاد القوط الشرقية يقع ذلك الكهف .. كهف يمتد لمسافة طويلة داخل أعماق الجزيرة ، وهذا الكهف يعيش به مكبلاً سجيناً ساحر قديم يدعى (جيلبرت) .. »

(جيلبرت) .. الاسم (جيلبرت) ...

\*\*\*



« أنا ( جلوريا جيلبرت ) .. حدثتني ( ماجي ) كثيراً  
عنه .. »

« نحن منفصلان .. وآخر ما سمعته عنه أنه في  
ألمانيا .. وأنه سجين .. »

\*\*\*

« هناك سجنه أستاذه ( كاتيوم ) منذ قرون لا حصر لها ،  
لأنه تجسراً عليه وسبه .. وقد قيده إلى عوارض خشبية  
عليها نقوش قوطية قديمة .. تقول الأسطورة إن هذا  
الساحر سيظل هناك حتى يجده ساحر آخر ويحرره .. (\*) »

« .. هناك في ألمانيا الشرقية سمعت الناس والفلاحين  
يقولون إن ( جيلبرت ) يتحدث عن ساحر يحرره .. »

« إذن فهذه القصة تبدأ بـ ( جيلبرت ) .. ومنه يبدأ الخيط  
عبر عدة أجيال آخرها - بالنسبة لي - ( رونيل ) السوداء .. »

« فهل كنت ( رونيل ) تتأهب للذهاب إلى ( البلطيق )  
لتحرر هذا الساحر لكن الناس أعدموها قبل ذلك ؟ في هذه  
الحالة هي لم تتم عملها وسوف تعود .. لكن في صورة  
من ؟ »

(\*) أسطورة حقيقية ..

- « في صورة ( إيلينور ) يا عزيزتي .. في صورة ( إيلينور )  
التي كبرت في شهر أو أكثر .. وادعت فيما بعد أن اسمها  
( جلوريا ) .. »

قلتُها بصوت مسموع مخاطباً روح الكاتبة الشابة التي  
حاولت تقمص أفكار وشخصية الساحرة ..

ودسست الأوراق في جيبى واختلست نظرة إلى الشرفة  
البعيدة ...

زوجتى الحبيبة تقف هناك والطفل على كتفها .. من  
الواضح أنها ترافقنى ..

لا أعتقد أنها تقرأ ما في يدي من مسافة عشرين متراً ، لكنى  
لا أستبعد شيئاً بالنسبة لها . وما في ذلك ؟ هي تعرف أنني  
عاجز عن الفرار .. عاجز عن اتخاذ قرار . ما أن أراها حتى  
أتحول إلى الأبله المنبهر بجمالها ، والأب الطيب لطفلها ..

يمكن القول إننى الآن أعرف ما سيحدث ..

وإن كنت عاجزاً عن منعه ..

ستذهب إلى ألمانيا وسوف تحاول أن تحرر هذا  
الـ ( جيلبرت ) لو كانت الأسطورة صحيحة .

## 8 - دي إنزىل ..

قال لى ( سمير ) وهو يمسك يدي بيده الصغيرة :

« لماذا نحن ذاهبون إلى ألمانيا يا أبى ؟ »

لم أدر ما أقول .. طبعا يصعب عليه أن يفهم قصة ( جيلبرت ) والكهف ..

صحيح أنه ينمو بسرعة لا تصدق .. صحيح أنه الآن فى السابعة من عمره حسب نمو العقل والنفس والبدن ، لكن عمره شهر حسب تاريخ المولد ، إلا أن هذه الأشياء تظل بعيدة عن فهمه ..

يجب أن أقول هنا إنه كان يتكلم العربية والإنجليزية معا .. هكذا يتفاهم مع أبيه وأمه ..

قلت له ولما ألتئم جبهته :

« ذاهبون إلى ألمانيا لأننا لانعرف مكانا آخر نذهب إليه . »

حقا يجب أن تظل هذه القصة سرا لو خرجت منها سالما .. أنا تزوجت ( إلياتور ) الطفلة التى لم تعد طفلة ، وأنجبت منها خلال شهر ، طفلا هو الآن فى السابعة من عمره بعد شهر آخر ..

هنا يبرز سؤال مهم : ما دورى فى هذا كله ؟ كان بوسعها عمل ذلك دون أن تتزوجنى أو تتجب منى ..

فلماذا أنا دون غيرى .. لماذا ؟

لو كانت تريد زوجا - أى زوج - فهناك ألف واحد يصلح ، وحتى ( جراهام ) رئيس الخدم يصلح وهو أجمل منى بكثير ..

السؤال الثانى : هل ( ماجى ) فى ألمانيا فعلا ؟ ماذا تفعل هناك وحدها ؟ ولماذا تركت الطفلة هنا ؟ هل كانت الطفلة قد بدأت فى النمو بذلك الشكل المفزع الغريب ؟

السؤال الثالث : ماذا ينتظرنى هناك ؟

وخطر لى أنه لابد من إعادة هذه الأوراق لمكتب ( ماجى ) حالا ...



هل هذا القصر يتميز بظاهرة تعجيل الزمن ؟ أنا لم أفهم النسبية قط لكنى أعتقد أنها تتحدث عن أشياء كهذه .. ولكن بالطبع هذه المرة ..

إن الفارق بين الرعب القوطى ورعب الخيال العلمى هو أن المسوخ والخوارق يفرعوننا فى النوع الأول بينما الآلة هى التى تفرعنا فى الثانى .. يقولون إن الكتاب لم يجدوا مشكلة عندما ولد أدب الخيال العلمى .. حل العالم المجنون محل الساحر .. وحل الاختراع العجيب محل الشبح .. لكن الحبكة ظلت هى هى ..

لو كانت النسبية تفسر ما أنا فيه فقد حان وقت دراستها جيداً .. وإبنى لأحسد (ماجى) لأنها تفهمها ..

\*\*\*

تقع (روشتوك) - التى شيدت فى القرن الثانى عشر - شمالى شرق (ألمانيا) الشرقية .. لم تكن ألمانيا موحدة وقتها طبعاً ، وكانت تعاني من ذلك الصدع القديم يوم دخل للسوفييت (برلين) من الشرق ودخل الأمريكان (برلين) من الغرب ، وانتحر (هتلر) .. من يومها ظلت ألمانيا مقسمة .. الشرق ينتمى إلى عالم الشيوعية والحزب والبروليتاريا ،

والغرب ينتمى إلى عالم الهامبرجر وديزنى لاند وشعار (العالم الحر) .. الشرق يعد الجنة على الأرض يوم تعم الحتمية التاريخية وتثور البروليتاريا فى كل العالم ، والآخر لا يعد لكنه يقدم بالفعل جنة أرضية صناعية قوامها الكولا والهامبرجر وأفلام (هوليوود) المبهرة ..

خلف الستار الحديدى كما يقول (تشرشل Churchill) .. هكذا عبرنا إلى عالم آخر بمقاييس أخرى ..

تقع المدينة على نهر (فارانوف) .. قرب بحر (البلطيق) .. وهى مركز بحرى حساس وميناء بالغ الأهمية .. وفيها أقدم جامعة فى شمال أوروبا ..

ويمكنك بسهولة أن ترى آثار القذف أثناء الحرب العالمية الثانية .. بعض هذه الآثار لا ينوون التخلص منها لأنها نوع من التاريخ الحى الناطق ..

كانت (جلوريا) - لم هى (إليانور) لم (رونيل) ؟ - معى .. ويجب أن أقول إنها كانت هى (رجل البيت) .. كانت المسنولة عن الإنفاق والتنقل وحجز القطار والفندق .. وكانت تتحرك كأنما مارست نفس الرحلة ألف مرة ..

وفى ذات يوم الوصول اتجهت إلى المرفأ وبحثت عن يخت صغير للإيجار ..



سألها البحار بالألمانية عن شيء ما ، ثم راح يهرش رأسه في حيرة .. لم يبد على استعداد لتصديق ما تقول ..  
سألتها حين عادت عما طلبته ومنذ متى تجيد الألمانية ..  
فقالت باسمعة :

« لنا لجيد أشياء كثيرة .. أما ما طلبته فهو يخت نبحر به في بحر البلطيق Baltic .. إن الجزيرة التي أبحث عنها غير مرسومة على الخارطة لكنهم يعرفونها ويكرهونها .. ويطلقون عليها هذا الاسم المحايد ( الجزيرة ) .. Die Insel .. »

سألتها متظاهراً بالبراءة :

« يكرهونها ؟ لماذا ؟ »

قالت متظاهرة بالبراءة هي الأخرى :

« وكيف لي أن أعرف ؟ إن البحارة قوم شديدي للتطير .. لو غرقت سفينتان قرب هذه الجزيرة لاعتبروها مشنومة .. ثم يتساقلون هذه القصة حول النار ليلاً وهم يدخنون غلايينهم .. بعد قرنين تصير حقيقة لا يناقشها أحد .. »

ثم قالت بلهجة عملية براجماتية :

« الليلة نتحرك إلى هناك ! »

صحت في جزع :

« ومن قال إننى أجيد الملاحة ؟ »

« أنت لا تجيد أى شيء .. لكن كما قلت لك أنا أعرف الكثير من الأشياء .. »

ومشينا في المدينة .. مررنا بجامعة العتيقة التي تعود إلى عام 1419 .. وكانت هناك مجموعة من الكنائس قوطية الطابع .. طبعا .. أنت هنا في بلاد القوط ذاتها ..

لكن ما كانت تبحث عنه هو كنيسة ( سانت مارى ) .. كانت هناك في ساحتها ساعة غريبة الشكل هي أقرب إلى مزولة . نظرت لها وقالت ضاحكة :

« هذه ساعة فلكية تعمل بدقة تامة من عام 1472 حتى اليوم .. ولم تتوقف لحظة .. »

أصابتنى الدهشة ، وإن دهشت أكثر لاهتمامها البالغ بالآثار .. لكنها قالت وقد رأت حيرتى :

« ما أقوم به لا يعتمد على توقيت محلى .. إننى أعتمد على التوقيت الفلكي ذاته .. وهذه الساعة تخبرنى بأن على الرحيل هذه الليلة .. سيتم ( الأمر ) الليلة . »

ساد صمت طويل ثم سألتها :

- « هل أنت مندهشة لأننى لا أسألك عن شيء ؟ »

- « بل سأندesh لو فعلت .. »

وانطلقت تجد السير مبتعدة عن بقلمتها الرشيقه الفارعة ،  
وهتفت دون أن تنظر لى :

- « سنحتاج إلى ثياب تقينا برد البحر وبالله .. »

- « وطعام ؟ »

- « لا طعام !! هيه هيه ! صدقنى لن تحتاج إلى طعام ! »

\*\*\*

يطلقون عليها ( الجزيرة ) .. تحلينا للمزيد من التفاصيل ..

لقد جاء الليل ..

ومعه تحركت ( رونيل ) السوداء ..

لن أناديها بعد اليوم باسم ( جلوريا ) .. لن أناديها  
بـ ( إلياتور ) .. إنها هى ( رونيل ) السوداء ذاتها ..

تقف خلف الدفة كأنها الشيطان يرتاد نهاية العالم ..  
ترمدى سترة واقية من البلل وعيناها الزرقاوان الوحشيّتان  
تلمعان فى ضوء لا أعرف من أين يأتى ..

تقاوم بحر البلطيق ذاته .. تقف شامخة على الدفة ..  
بينما الرذاذ يتطاير ليغرق شعرها .. فتزيحه لتسلط عينا  
واحدة على البحر من جديد ...

إنها تتكلم باللاتينية .. ماذا تقول ؟ لا أعرف .. تضحك  
أحيانا ثم تصمت .. أرجو أن تكون ساحرة حقًا وليست  
مجرد مجنونة وإلا فنحن ضائعون لا محالة .. لا يستطيع  
مقاومة هذه العاصفة إلا بحار محنك أو ساحرة ..

وأرتجف .. أمسك بيد ( سمير ) حيث جلسنا فى موضع  
آمن من اليخت . وقد دفنا رءوسنا فى ستراتنا الثقيلة  
الواقية من البلل ..

ما هذا الذى مضينا إليه ؟ ما هذا الذى سنلقاه ؟

يقول ( سمير ) راجعًا :

- « أبى .. إن أمى عصبية جدًا .. أنا خائف ! »

فأوشك على أن أقول له إن الحال واحد ، ثم أصمت ..

بحر البلطيق الرهيب .. الذى يقع بين ( ألمانيا ) و ( فنلندا )  
و ( الدنمارك ) و ( السويد ) و ( إستونيا ) و ( بولندا ) .. بحر  
العواصف الذى لا يرفق بالسفن أبدًا .. متوحش مثل .. مثل  
( رونيل ) السوداء ..

إنه ليس ببعيد عن بحر الشمال الأسطوري .. فقط تربطه  
به فتاة ( القيصر قلهم ) ..

كنت أفكر في هذا وأتحسس ذلك القضيب الحديدى الملقى  
على السطح الزلق بقرى ..

فقط بعض الشجاعة .. بعض الحسم .. ضربة واحدة  
وينتهى الكابوس .. سيجن الطفل هنا لكنه لا يعرف أننى  
أنقذه .. أنقذ العالم كله فى الواقع ..

أمد يدي وأعتصر القضيب أكثر ..

أنهض مترنحا .. فيقول شيئا لكنى أشير له كى يخرس ..

أتقدم إلى الأمام .. وفجأة ...

( بحر العواصف الذى لا يرفق بالسفن أبداً .. )

موجة كاسحة تنهض من سباتها كالديناصور .. ترحف  
تحت اليخت فأجد أننا نرتفع إلى عنان السماء ثم نهوى ..  
واسقط على الأرض .. يسقط القضيب من يدي .. أتشبث  
فى آخر لحظة بعارضة معدنية ، وأنكمش على نفسى حتى  
تستقر السفينة ..

- « إن البحر فى صفى يا ( رفعت ) فلا تتجاهله ! »

قالتها وتفجرت فى الضحك ..

كيف عرفت ؟ إنها لم تنتظر للوراء لحظة ..

إنها تعرف الكثير من الأشياء حقاً ..

الخلاصة إنها ليلة سوداء ...

\*\*\*

يطلقون عليها ( الجزيرة ) .. لأنهم يتطيرون من اختيار  
اسم لها ..

وقد كنا الآن نراها من الشاطئ .. نقف خارج حزام  
الصخور المحيط بها ..

يبدو أنها صغيرة جداً .. وإن بدت لى شريرة بما يكفى ..  
إن هذا المكان يحوى طاقة نفسية مرعبة .. أعرف هذا ..  
أشعر به ..

كانت ( رونيل ) - أو المدام - تحمل حقيبة ثقيلة على  
كتفها .. وراحت بعدما ترجلت تشق طريقها بثقة وقد بلغ  
الماء خصرها .. لم أدر ما أفعله فوضعت الصغير على  
ظهري ، كأنه يركب حصاناً .. كل ساق على كتف وراحت  
أشق طريقى فى الماء خلفها .. إن الظلام يجعل الأمر



كابوسًا .. هناك قمر خلف الغيوم لكنه لا يعمل جيدًا ..  
مزاجه متعكر بعض الشيء ، وقد أرغم على السهر  
بانتظارنا ..

أخيرًا وقفت على الشط وراحت تتشمم الهواء في  
استمتاع ، وقالت :

- « استعددت لهذه الرحلة طيلة حياتي .. »

- « هذه الحياة فقط ؟ »

ابتسمت في خبث وتقدمت الطريق . كانت تعرف  
وجهتها وكانت مصممة على الوصول إليها ..

نظرت للشاطئ الرهيب خلفنا .. هل أنا أحلم أم أن هذا  
شبح قارب يقف وحيدًا مظلمًا فارغًا بين الأمواج ؟

من يدري ؟ لربما غرقت سفن أكثر من اللازم قرب هذه  
الجزيرة الملعونة ..

هناك ذلك الكهف .. إنني أراه بوضوح .

إنه خبيث الشكل ككل شيء على تلك الجزيرة .

دون تردد دلفت (رونيل) من المدخل ، فتبعها وأنا

لمسك بيدي الصغير .. كانت تعرف طريقها في الظلام ، أما أنا  
فاضطرت إلى التوقف حتى لا أحطم عنقي .. سمعتها تغمغم  
بشيء ما .. ثم ... منذ متى كانت تحمل مصباحًا ؟ لم  
أرها تحمل مصباحًا ، لكنني أرى بقعة من النور أمامها ..  
وها هي ذى تتقدم الطريق فنتبعها وظلالنا ترسم رسومًا  
سريالية ملفزة على الجدران .. تمزق خيوط العنكبوت  
وهي تمشي .. وتفزع الوطاويط التي تحلق لمكان آخر ..

صحت فيها والصدى يولول بدوره :

- « سأتارك الطفل في الخارج ! »

ودوى الصدى مرارًا : رج .. رج .. رج ... كان الإغريق  
يعتقدون أن الصدى هو الفتاة ( إيكو Echo ) التي لعنتها  
( هيرا ) وجعلتها تردد آخر مقطع من كل جملة تقال  
أمامها .. يبدو أن الأخت ( إيكو ) كانت تنتظرنا من زمن ..

صاحت بدورها بينما بقعة النور تواصل التقدم :

- « خطر جدًا .. إنه أكثر لَمنا هنا .. »

نا .. نا .. نا .. نا !

أعرف أننا نهبط باستمرار .. أعرف أننا الآن تحت

مستوى البحر ذاته .. والكهف ممتد .. الهوابط من أعلى  
تقطر ماء ، والطحلب يغطيها ..

أخيراً هناك تلك البوابة الخشبية العملاقة ذات الخشب  
الذى أعجب لكونه لم يتلاش حتى اللحظة .. إن الصناعة  
القوطية بارعة حقاً ..

على الباب شعار عملاق .. وكل الشعارات على ما يبدو  
تحتوى التنين والنسر .. وهناك كتابة بلغة عجيبة لا أعرف  
حروفها .. لا .. ليست اليونانية ولا اللاتينية .. هي أقرب  
إلى مجموعة من نقوش ..

لكنها تقف هناك .. تسلط ضوءها الذى لا أعرف مصدره  
على الحروف ، وبصوت جهورى تهتف :

« داسيوس ريانوس هلكمال جيلبرت »

هنا فقط بدأ الدخان يتصاعد .. يخرج من تحت الباب  
ومن فجواته .. يخرج من كل شق فيه .. دخان كثيف أزرق  
له رائحة الكبريت ..

وشعرت بشعبي الهوائية تتقلص ورحلت أسفل ، أما  
( سمير ) فلك أن تتصور حالته .. رباه .. لا تبك .. أرجوك  
لا تبك .. فهذا يقضى على أعصابى تماماً ..

قلت لها فى حزم :

« لا أعرف ما تتوین عمله .. ولا حيلة لى فى الخلاص  
منك .. لكن تذكرى أن هذا ابنك ! »

نظرت لى بجانب وجهها .. وضع ثلاثة أرباع خلفى كما  
يقول المصورون ، واهتفت من جديد :

« داسيوس ريانوس هلكمال جيلبرت »

الصدى يقول : برت .. برت .. برت ..

الباب ينفتح ببطء .. ينفتح ...

\*\*\*



والآن حين فتحت عيني أدركت أننا لم نكن وحدنا على الإطلاق ..

كم كان عدد الرجال ؟ عشرة ؟ ربما .. لكننى لم أتبين وجه واحد منهم .. وتذكرت كيف كان يبدو الوباء ذو الكلمات السبع .. إن هذه الكائنات الظلامية تعرف كيف لا تبدو فى النور أبداً .. لا بد من أن ينسدل غطاء الرأس بحيث لا ترى إلا لمحة من وجوهها فى كل مرة .. وهذه اللمحة لا تكفى إلا لإثارة الذعر ..

هل جاء هؤلاء القوم فى سفينة أخرى ؟ تلك التى وجدتتها قرب الشاطئ ؟

الحقيقة الأهم هى أننى مقيد فى وضع النسر المخلق .. مقيد بالسلاسل إلى منضدة خشبية عتيقة .. هذا هو وضع التضحية الوثنية الشهير ، ولن أندھش لو كان بساقى البرنامج يتضمن شق حنجرتى من أجل .. من أجل من ؟

ونظرت جوارى فرأيت فى ضوء المشاعل أن ( سمير ) راقد فى وضع ممثل ..

منذ فترة قصيرة كانت الطفلة ( إيلانور ) تمر بالتجربة مثلنا .. لكنها لم تكن فى خطر على حياتها .. كانت فى خطر

## 9 - السجين يتحرر ..

لم نر ما يوجد بالداخل لأنها شقت الطريق وحدها .. ووقفت مع ( سمير ) وحدنا بالخارج عاجزين عن الفرار .. عاجزين عن اللحاق بها .. الدخان يزداد كثافة .. الرائحة خائفة فعلاً .. أو شئك على الموت بالرهو حالاً ..

متى تلقيت الضربة على رأسى ؟ لا أذكر .. لكنها جاءت فى وقت لم أكن أرى فيه شيئاً على الإطلاق .. وساد الظلام كما هى العادة ..

شعور السقوط الأبدى إلى أسفل ..

إلى أسفل ..

إلى أسفل ..

إلى أسفل ..

\*\*\*

يطلقون عليها ( الجزيرة ) .. لأنهم يتطيرون من اختيار اسم لها ..



على مستقبلها .. لم تعد طفلة عادية بل صارت ساحرة ..  
فهل مستقبل مماثل ينتظرنا ؟

تبًا .. ينسى هؤلاء القوم إننى لا أطيق النوم على  
ظهري .. إن عسر التنفس يداهمنى على الفور .. أو كما  
يقولون ( تضيق روحى ) .. لو كانوا يريدون التضحية بى  
فليفعلوا ذلك وأنا نائم على جانبى الأيمن ..

أخيرًا زوجتى الحبيبة تظهر من مكان ما وسط هذا  
الكهف المقبض ..

ما زالت جميلة وإن ارتدت كل ما يلزم للمصرية  
القادمة .. بدا لى كأنما عدنا بآلة الزمن إلى القرن الثالث  
عشر أو الرابع عشر .. وكان شعرها مغطى بخيوط  
العنكبوت فبدأ متناغمًا مع ثيابها ..

قلت لها وأنا أجاهد كى أرفع رأسى :

« سأكون شاكراً لو شرحت لى ما يحدث .. »

قالت وهى تحرك ذراعيها كأنها رقصة هندية ما :

« إن خلاص ( جيلبرت ) من ( كاتيوم ) عسير .. والدليل  
هو كل السحرة الذين فشلوا عبر القرون فى تحريره .. »

ودعنى أقل لك أيها العزيز إن تحرره يعنى نهاية التاريخ  
كما تعرفه .. »

« أعرف هذا .. لكن مادورى أنا ؟ »

« الطقس الأول هو البنوّة .. يجب أن يضحى الساحر  
بإبنه .. »

ارتجفت لهول الفكرة . هى لم تتجب إذن إلا لىكون لديها  
من تضحي به ..

« الطقس الثانى : الدمان .. يجب أن يسيل على قيود  
( جيلبرت ) دم أب وإبنه .. »

بدأت أفهم .. هى إذن ستضحي بى كذلك .. كانت بحاجة  
لأب وإبن .. على أن يكون الابن ابنها كذلك .. هكذا تضرب  
عصفورين بحجر .. ولكن لماذا أنا بالذات ؟ لماذا لم تتزوج  
( جراهام ) الخادم أو باع الصحف أو أى أحق سواى ؟

الانتقام !

نعم .. الانتقام .. هذا معقول .. أنا من كشف أن الطفلة  
هى ذاتها ( رونيل ) وكاد يفسد الكثير من الأشياء فى  
أيرلندا .. ربما لهذا نمت بهذه السرعة الجهنمية .. ربما

لهذا تم اختياري لهذا الفخ .. فقد كانت تعرف أنني قادم إلى  
( إنفرنسشاير ) ..

— « الطقس الثالث هو المحرقة ! »

هذا الجزء لا يروق لى .. هل تتوى حرقاً بعد فلنا لم لعكس ؟

المهم أنها راحت تدور فى المكان وهى تؤدى مشهداً  
طويلاً معقداً من مسرحية لا وجود لها .. لو كانت هناك  
نسخة من ( هاملت ) باللغة القوطية القديمة فلا شك أنها  
تؤديه الآن ..

وفطنت إلى أنها تتلو ماتقرويه من أوراق .. هناك نوع  
من التلقين إذن .. ليست بهذه الذاكرة الحديدية ..

هذه الأوراق أعرفها .. حتى من مكانى هذا وفى هذه  
الإضاءة الخافتة المتوهجة بالمشاعل .. هذه الأوراق التى  
كانت مع الكاتبة التى جاهدت ( ماجى ) كى تترجمها ..

الوقت يمر ..

الطفل يولول ..

الدخان يتصاعد ..

القراءة تستمر ..

ثم إنها صعدت إلى ما يشبه العمود المنصوب فى ركن  
الكهف .. وارتخت جسدها تماماً بينما تقدم رجلان يقيدانها  
بسلامل لا أعرف من أين جاءت ..

إنها تصيح فيهما بالإنجليزية هذه المرة :

— « حين أنتهى أنا .. قدموا التضحية ! »

ما معنى هذا ؟ تبا ! لقد فهمت !

\*\*\*

صرخت فى تلك المخبولة وأنا أحاول النهوض :

— « لا تفعل يا حماة ! كل هذا وهم .. أنت لن ... »

لكن ضحكة الانتصار كانت تشيع على وجهها بينما  
الرجلان يشعلان النار فى كومة من الخشب عند قدميها ..  
إنها المحرقة كما قالت لى ! ستحرق نفسها من أجل  
( جيلبرت ) كجزء من تلك الطقوس .. ربما لأنها تلقت وعداً  
بأن تكون منه أوله .. لا أعرف .. لا أفهم هذا الهراء ..

ألسنة النار تتعالى .. لو لم أكن مخطئاً فقد مرت هذه  
المرأة بهذه التجربة الشنيعة عشرات المرات .. لقد صار  
الاحتراق هواية محببة لها ..

الآن يتقدم الرجال حاملين خناجرهم نحو الضحيتين  
المقيدين .. أنا والطفل ..

عندما تلفظ هي آخر أنفاسها ستهوى النصال علينا  
ويمتزج الدمان .. ثمن غال جداً كي يتحرر ( جيلبرت ) ..  
صرخت بأعلى صوتي :

« لا تفعل يا حمقاء ! كل التعاويذ التي قنتها خطأ ! »  
اتسعت عيناها في شك من وراء الدخان المتصاعد ..

« لقد قامت ( ماجي ) بتزييف تلك الأوراق .. ترجمتها ثم  
حذفت عبارات وبدلت أخرى .. عرفت هذا وأنا أفتش مكتبها » إن  
ما قمت بتلاوته كلام فارغ »

صارت عيناها الآن بلون الدم .. وراحت تحاول  
التخلص ..

لكن اللهب ارتفع أكثر ..

عندها نظرت إلى سقف الكهف وأطلقت عواء كعواء  
الذئب .. أقسم أنني رأيت وجهها الحقيقي وقتها ، ولم يكن  
يمت لوجهها الذي عرفته بصلة .. سوف يزور كوابيسى  
إلى الأبد ...

« داسيوس ريانوس هلكعال جيلبرت »

ثم سكنت صرختها ...

لقد ماتت دونما ثمن ، والأسوأ أنها عرفت هذا في  
اللحظة الأخيرة ..

وفي اللحظة التالية انقض الرجال - الذين لم يفهموا  
ما قلت - علينا بمدبهم ..

وفي اللحظة التالية ارتج الباب الموارب في طرف  
القاعة ..

رباه ! إن هذا صحيح ...

\*\*\*

هوى الباب مرة واحدة . لم أر شيئاً من الدخان ..

لكن . بين الغمام ترى شيئاً من حين لآخر .. ترى للرجل  
المقيد العملاق .. ترى الأسماك التي يلبسها .. يمكنك أن تفهم  
فه مقيد الذراعين بالسلاسل إلى عارضة خشبية فوق كتفيه ..

يمكنك - بشكل ما - أن تفهم أنه انتزع العارضة التي قيد  
إليها . إنه يفتح المكان كأنه ( شمشون ) يهدم المعبد فوق  
رعوس أعدائه ..



ثم يرتفع الدخان ثانية فلا ترى شيئاً ..

لكنك تسمع وربما ترى .. تسمع الرجال - أو المصوخ -  
إذ يجثون على ركبهم ويرددون شيئاً ما بتلك اللغة  
الغامضة ..

انتهى الأمر .. كانت مناورة وفشلت .. لقد كنت حمقاء  
يا (ماجى) ...

« داسيوس ريانوس هلكمال جيلبرت ١١ »

« داسيوس ريانوس هلكمال جيلبرت ١١ »

لا بد أن معناها ( لقد لبينا النداء يا جيلبرت ) أو ( قد جننا  
لنحرك يا جيلبرت ) أو شيء من هذا الهراء ..

لكن الأمور لا تسير على مايرام ..

إن هذا الشيء الذى كان حبيسنا من قرون يتحرك فى  
هياج .. يرفع رأسه لسقف الكهف ويعوى ..

يعوى لا كهواء (رونيل) ولكن كهواء الشياطين فى سقر ،  
أو ديناصور سقط فى بركة قطران فلم يبق إلا رأسه .. ترتج  
جدران الكهف . تسقط الهوابط العذبية على جسدى ومن حوله ..

( هل ابنى سليم ؟ )

يرتطم بالجدران الصخرية .. جحيم من الدخان والغبار  
ثمة زلزال أم هو وقع قدميه الثقيلتين ؟

يتلوى .. يصرخ .. يعوى ..

يعوى .. يصرخ .. يتلوى ...

ثم يتقهقر إلى الوراء نحو الباب المفتوح

وغاب وسط الدخان الأزرق الكثيف من حيث جاء

وفى ثانية لم يعد الرجال من حولنا . عشرات الفئران  
تجرى فارة من الكهف ..

بعضها يتسلق الجدران ، وبعضها يزحف فوق ساقى .  
وبعضها يسقط من أعلى ..

ثم ساد الصمت الرهيب ...



بينما لا يبقى أحد حيًا من أعزائي .. كان هذا الكابوس  
يؤرقني .. مشكلتي أنني أظل حيًا بعد من أحب ..

فقدت ( سمير ) ولا أدرى من أفقد بعد هذا ..

ورحت أنشج بصوت عال في الظلام ..

أنشج وأنا مازلت في وضع النسر المخلق .. لا سبيل  
للخلاص لأن هؤلاء القوم يستعملون السلاسل ...

سأكون أسطورة أخرى يتنقلها البحارة وهم يدخلون  
غلايتهم ليلاً حول النار .. العجوز الذي يبكي ليلاً في كهف  
في ( الجزيرة ) .. لقد سمعه كثيرون .. وصوت بكائه يجمد  
الدم في العروق .. لا تقربوا الجزيرة ففيها ساحر حبيس  
وعجوز يبكي وساحرة متفحمة .. و ...

من أين يأتي هذا الضوء ؟

هذا كشاف وأقسم على هذا ..

صوت أنثى .. أنثى .. و ...

إنني أعرفه .. وأعرفها ...

( ماجى ) !!

\*\*\*

## 10- خاتمة ..

كم من الوقت فقدت رشدي ؟

لا أحد يستطيع الحكم على هذه الأشياء ..

فقط فتحت عيني لأرى ظلام الكهف من حولي .. لقد  
ماتت المشاعل جميعاً ...

ظلام دامس يجثم على روحي .. وصمت مطبق رهيب ..

- « ( سمير ) .. هل أنت بخير ؟ »

لا رد ..

- « ( سمير ) .. هل أنت بخير ؟ »

لا رد ..

كنت أعرف الإجابة .. هذه الهوابط المدببة التي سقطت  
من أعلى لعبت دور ألف مديّة تسقط فوقك في آن واحد ..  
أنا نجوت ببساطة لأنني لنجو دائماً من هذه الأشياء . لطالما  
تصورت نفسي وقد كونت أسيرة أقود ميارتي على الطريق  
السريع .. يتفجر الإطار الأمامي .. تنقلب في لترعة .. عندها  
من ينجو ؟ من يخرج من الماء بلا خدش ؟ إنه أنا طبعاً ..

كانت تحاول فك السلاسل في هستيريا وهي تتشج وتتردد :

- « يا صغيرى .. ماذا فعلوا بك ؟ ماذا فعلوا بك ؟ »

قلت لها وأنا متأكد من أنها غير موجودة . هذه هلاوس ما قبل الموت :

- « لم يفعلوا .. كانوا سيحققون نجاحا عظيما .. ثولا ... »

ثم نظرت ليديها فلم أجد كشفا من أين يأتي الضوء إذن ؟

( أين ذهب سمير .. لقد كان على بعد متر مني ! )

هنا سمعت صوتا غليظا وقحا يقول فى الظلام .

- « إنها سلاسل قذرة هؤلاء الأوغاد كانوا يجيدون صنع الصلب .. لكنى سأجد حلا .. »

هذه اللهجة الأسكتلندية القحة والطريقة المفتحة اللفظة .

ورأيت على ضوء الكشاف الذى يحمله وجه ( إيوان فريزر ) . انصياد اللفظ الذى اشترك معى فى محاولة اصطياد ( لوخ نس ) . والذى كاد يسلبنى ( ماجى )

قلت له باسمنا :

- « لو كان وجهك هو آخر وجه أراه فى هلاوس الموت . فتأ فى ورطة ! »

قال وهو يلوك لفافة تبغ :

- « لست خيرا إلى هذا الحد أيها الصبى العجوز . فقط الأخبار يموتون بسهولة أنت حى وإن كنت أشك فى ذلك من مظهرك .. »

ثم نظر إلى أعلى وسأل ( ماجى ) :

- « هذه الأشياء القذرة المتدلية من أعلى . هل هناك المزيد منها ؟ لا أريد أن تمزق أحشاءه الآن . »

- « لقد سقط أكثرها .. »

- « إذن أفضل الحلول هو أعنفها ! »

دوت طنقتان فى فراغ الكهف حتى شعرت كأنما أطنقهما على أذنى . الصفير يتردد بالباح مريع . وتساقط المزيد من الغبار من السقف ..

لكن يدى تحررتا وإن ظل السوار متمسكا بكل معصم قلت له فى غيظ :

- « كان بوسعك أن تذكرنى أيها الحيوان أنك ستطلق الرصاص .. ومن هذه المسافة ! »

هنا دوت طنقتان أخريتان ! لقد نسيت إن قدمى مربوطتان بدورهما !



نهضت مترنخًا والغبار يتساقط من جسدي .. ورفعت رأسي لأجد أنني أصدق في أبشع وجه صارخ رأيت في حياتي .. جثة محترقة مربوطة بالسلاسل ولم يبق منها شيء تقريبًا ..

قلت بصوت كالفحيح وأنا أراجع للوراء :

- « هذه ( إلياتور ) .. أو ما تبقى منها .. »

قالت ( ماجي ) بلهجة ذات معنى :

- « فهمت هذا على الفور .. إنها ( رونيل ) السوداء

الآن .. »

- « ولكن أين ( سمير ) ؟ أين ابني ؟ »

وضعت ( ماجي ) يدها على يدي وقالت مواسية :

- « لن تجده يا ( رفعت ) .. لقد أخذوه معهم .. على الأقل لم

يقتلوه أمامك وأنت مكبل بالأصفاد .. تذكر .. أنت لا تعرف

كيف جاء للعالم .. إنه ابنها .. فيه منها أكثر مما فيه منك ،

وقد أنجبته لغرض واحد .. يجب أن تنساه .. »

ونظر ( فريزر ) إلى الباب الموارب في ركن المكان ،

وقال وهو يلوذ لفافة تبغ :

- « أرى أن نرحل الآن قبل أن يجد جديد .. هذا الكهف يشبه بيت الأشباح في الملاهي .. ويعج بالمفاجآت .. »

\*\*\*

- « داسيوس ريانوس هل كمال جيلبرت (١) »

\*\*\*

كنا جالسين في تلك الكافتيريا في مدينة ( روستوك ) نرمى بحر البلطيق الذي لم يهدأ ساعة واحدة منذ البارحة .. أمامي و ( ماجي ) قدحا قهوة ، بينما ( فريزر ) يشرب ( الشنابس ) ليبرهن على أنه فظ خشن ..

قالت لي ( ماجي ) مواصلة للقصة التي بدأتها من ساعة :

- « .. وعرفت أن الفرنان ليست بفرنان .. بل هي تلقتهما دروسها الأولى في عالم السحر .. إنها ( رونيل ) لكنها لا تملك ذاكرة ( رونيل ) .. هناك أشياء لا تعرفها أو تحتاج لاسترجاعها .. هكذا عكفت على دراسة الأوراق التي كتبت في حوزة الكاتبة وعرفت منها الكثير عن الساحر ( جيلبرت ) .. عن هذه الجزيرة .. عن التعويذة التي ستحرره .. »

« في هذا الوقت كنت أرى ( إلياتور ) للصغيرة وهي تكبر بطريقة أثارت هلعى .. لاحظت أن الملائة لم تعد تغطي جسدها .. أحذيتها تضيق بسرعة .. وبدأت أدرك أن الأمر لا يتعلق بالفصل .. بل هو أخطر من هذا .. إن الوقت يضيق .. »

« هكذا اتخذت قرارى بالذهاب إلى ألمانيا .. وحدى .. ما كنت لأصطحب الفتاة معى فى رحلة كهذه .. لم يعرف بالقرار قبلها إلا (جراهام) .. (جراهام) الوفى الذى أوصيته ألا يندهش ولا يفعل ولا يترك القصر مهما حدث ومهما رأى .. كما أوصيته بأن يتجاهل الهاتف تمامًا حتى لا يسأله أحد عن سبب رحيلى .. إن الطفلة مسئولية بالكامل .. وأخذت معى نسخة من الأوراق .. لكنى أولاً وقبل أن أرحل قمت بعملين كما تعرف : أولاً قمت بعمل تزوير دقيق لتلك التعاويذ القديمة .. بدلت كلمة من هنا وهناك وغيرت فقرات .. كل هذا بدقة متناهية مستعينة بالمجهر أحياناً .. وكان تقديرى أن هذا احتياط مهم لو صح توقعى ، ولم تكن (رونيل) تحفظ التعاويذ كما يجب .. سوف تفتش عن الأوراق فى مكتبى وسوف تجدها .. »

قلت لها وأنا أرشف القهوة :

.. « هذا أقسى مقلب شربته فى حياتها .. »

أردفت (ماجى) دون أن تبسم :

« العمل الثانى هو أنى شرحت تزويرى للأوراق فى تلك الرسالة التى تركتها لك خلف إطار الصورة على مكتبى .. كان تقديرى أنك أذكى من أن تعتبر الصورة مجرد لمسة رومانسية بلهاء .. »

قلت مردداً كلمات رسالتها والتى لم أتمسها قط :

« الأعر ( رفعت ) .. لو حدثت وجات هنا فاحرص على ألا تمس الأوراق على المكتب .. لقد قمت بتزوير الوثائق القوطية القديمة .. وأريد أن تجدها (رونيل) كن حذراً .. (ماجى) .. »

« وبعد هذا طلبت عون ( إيوان فريزر ) .. »

ابتسم الرجل فى ثقة وبصق على الأرض ليبين كم هو محترف .. فأردفت :

« لم أكن لأستطيع الوصول إلى هذه الجزيرة وحدى .. ما كنت لأتجر على عمل أى شىء من دونه وهو الرجل شديد المراس الذى يعرف كيف يحقق ما يريد .. وكنت فكرتى هى أن نتمكن من تدمير الساحر قبل أن تحاول (رونيل) تحريره .. وطبعاً كنا على الجزيرة فى تلك الليلة حين رأينا حشداً من ثلاثة أنت منهم ، ينزلون على الشاطئ .. قررنا أن ننتظر ونرى .. عرفنا أن هناك عدداً من الرجال لا يعلم إلا الله كيف جاءوا .. ما كنا لنقدر على مواجهة هؤلاء جميعاً .. »

قال (فريزر) كاشفاً عن أسنانه الملوثة بالطباق :

« اللعبة لطيفة هنا هى أن (ماجى) قد بدلت التعويذة بما يناسب الغرض الجديد .. إن ما قالت (رونيل) - دون أن تدري ما تقول - كان استدعاء لقوة (كاتيوم) .. لقبضته



التي بدأت تتراخى .. إنها تنذره من محاولة ( جيلبرت ) الهرب .. وهكذا تحرر ( جيلبرت ) جزئياً فقط ليعود إلى سجنه من جديد .. »

ثم فتش في علبة التبغ التي يحملها فوجدها فارغة :

- « اللعنة ! إن علبة التبغ هنا من أردا الأنواع .. لن تجد لسوا من هذا في أقدح جحر في ( غينيا ) .. لكنى مضطر .. » ونهض مبتعداً ..

قلت لـ ( ماجي ) وأنا أراقبه وهو يمشى مشيته المعتادة ، في تحد وعدوانية كأنه خرتيت يطلب القتال :

- « ألم تجدى خيراً من هذا الحيوان ليساعدك ؟ »

قالت في خبث :

- « نعم .. لم أجد .. هناك رجال يصلحون للحوار الهادئ حول كتاب ، ورجال يصلحون لفتح الكهوف التي يمارس فيها السحرة طقوسهم .. إن ( إيوان ) كريم النفس إذ قبل أن يساعدني في عمل كهذا بداعي الصداقة .. بداعي قصة مشتركة لم يعد لها وجود الآن .. ثم إنك لا تملك ترف الغيرة .. لقد تزوجت وأنجبت خلال شهرين من غيابي .. »

قلت وأنا أتأمل القدر فارغاً :

- « وصرت أرمل وفقدت ابني .. كل هذا في شهرين .. »

ربت على يدي وقالت :

- « وأنا فقدت الطفلة التي كنت أهتم بها حباً .. هي لم تتزوجك لجمال منظرك .. كانت تريد أحق يعطيها طفلاً .. والهدف هو أن يسيل دم الأب والابن على المذبح .. وابنتك لم يكن ابنك لكنه ابنها لو كنت تفهم ما أعنيه .. أنت كنت في غيبوبة غارقاً في رحيق الحب ، ولست مستولاً عن أي من قراراتك .. ولو كنت مكانك لحذفت هذا الجزء نهائياً من سجل ذكرياتي .. أنت لم تتزوج ولم ترزق بطفل .. »

قلت في سرود :

- « ترى أين هو الآن وماذا يفعل ؟ »

- « لن تجد إجابة .. ربما رحل مع هؤلاء القوم الفئران وربما هو سجين مع ( جيلبرت ) .. لن تعرف أبداً .. فقط تذكر .. هو ليس ابنك لمجرد أنه يحمل نصف عدد كروموزوماتك .. إنه ابنها هي .. بالكامل .. »

- « وهل يتحرر ( جيلبرت ) يوماً ما ؟ »

- « لا أعرف .. لكن هذا لن يحدث في حياتنا على الأرجح .. »



- « وهل تعود (رونيل) ؟ »

- « لا أعرف .. لكنها للمرة الأولى قد خدعت بحق .. ولم تكن لها الضحكة الأخيرة .. أعتقد أنها لن تعود أبدًا .. »  
وساد صمت طويل ، وتمنيينا معًا ألا نراها مرة أخرى في أية صورة كانت ...

\*\*\*

الآن أعود إلى مصر ..

تفهمون الآن أنني أكذب عليكم حين قلت إنني لم أتزوج ولم أجب .. لا أعتبر نفسي قد فعلت .. (رونيل) هي التي فعلت ..  
هذه الأيام العابرة القاسية قد انقضت سريعًا ، ولم تترك أثرًا في حياتي .. ولا أعتقد أنه سيكون لها أثر ..  
إلا أن حياتي ذاتها لم تتبدل كثيرًا ..

كان المتحف الأسود ينتظرني .. وتذكرة زيارته باهظة الثمن قد تعنى الحياة نفسها ..  
ولكن هذه قصة أخرى ..

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

ما وراء الطبيعة

روايات الخيال العلمي

من قلم الكاتب الشاب

## روايات مصرية للجيت

### أسطورة روميل السوداء



د. أحمد خالد توفيق

أنتم تعرفون أن الطفلة  
(إليانور) لم تكن طفلة إلى هذا  
الحمد.. وأن الساحرة (لورين) لم تكن ساحرة  
إلى هذا الحمد.. وأن العبقريّة (ماجس) لم تكن  
عبقريّة إلى هذا الحمد.. وأن الأحمق (رفعت)  
لم يكن أحمق إلى هذا الحمد..  
هذا جصيل..

يمكننا البدء الآن ما دمتم تذكرون  
كل شيء...

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

المؤسسة المصرية الجديدة

في مصر ٢٥٠  
بالدولار الأمريكي  
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم

أسطورة المتحف الأسود